

مجلة الخليج للتاريخ والآثار

دورية محكمة تصدر عن جمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية
العدد الخامس عشر ١٤٤١هـ / ٢٠٢٠م



طبع هذا العدد علي نفقة جامعة نجران



مجلة الخليج للتاريخ والآثار

The Gulf Journal For Historhy and Archaeology

دورية محكمة تصدر عن جمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية
العدد الخامس عشر - إبريل ٢٠٢٠م

١٥

العدد الخامس عشر

١٤٤١هـ / ٢٠٢٠م

المحتويات

الموضـــوع **الصفحة**

الموضــــوع **الصفحة**

صدر الإسلام في كتابات المغلوبين :
المؤرخون السريان في القرن (١هـ / ٧م) أنموذجًا

د. عوض بن عبدالله بن سعد بن ناحي(*)

* المقـدمـة :

تتناول الدراسة الحالية الحقبة المبكرة للإسلام (صدر الإسلام) كما صوّرتها المصادر السريانية النصرانية في القرن الـ ١هـ/ ٧م، والتي كانت مادة أساسية لاتجاه حديث من الدراسات الاستشراقية التي سعت إلى رسم صورة مختلفة عن الصورة التي قدمتها مصادر التراث الإسلامي للمرحلة التأسيسية للدولة والمجتمع الإسلامي.

وتحاول الدراسة الإجابة عن سؤالين مهمين: أولهما يتمثل في الكيفية التي أرّخت فيها هذه المصادر لأحوال جزيرة العرب الداخلية عند ظهور الإسلام، وحملات جيوش الفتح العربي الإسلامي في بلاد الرافدين والهضبة الإيرانية وبلاد الشام والجزيرة الفراتية، وسياسة الفاتحين العرب تجاه أهل البلاد المفتوحة من وجهة نظر مؤرخي تلك المناطق. أما ثاني هذه الأسئلة فيركز على مدى تطابق ما دونته المصادر السريانية مع ما احتوته مصادر التراث الإسلامي عن هذه الحقبة.

الكلمات الدالة : العرب، بنو هاجر، بنو إسماعيل، النبي محمد ﷺ، السريان، النصرانية، الفتوحات.

❋ **Abstract :**

This study seeks to examine the early period of Islam in the light of Christian Syriac sources that were written during the 1st AH/ 7th AD. These Syriac sources have been used as a main type of resource of a new approach of oriental studies aimed to draw a picture about the early Islamic history which differs from what is written in Islamic Tradition.

The study seeks to answer two important questions. The first one will examine how Syriac resources record the internal issues in Arabian Peninsula at the rise of Islam, Islamic conquests in Mesopotamia, Iran, Syria and Upper Mesopotamia (al-Jazīrah) and the policy of Muslim Arabs toward local people as written by Syraic historians. The second question will see to what extent Syriac resources agree or disagree with Muslim resources about the history of early Islam.

- **المدخل:**

ظل التراث التاريخي الإسلامي إلى مرحلة طويلة من الزمن هو المصدر التقليدي الأول، إن لم يكن الوحيد، لدراسة كثير من قضايا تاريخ الإسلام المبكر الذي شهد ظهور النبي محمد ﷺ وتأسيس دولة الإسلام، وعصر الخلافة الراشدة والفتوحات الإسلامية. ولم تخل بعض الدراسات العربية الحديثة من الاعتماد على بعض ما تركه لنا التراث النصراني الشرقي بلغاته السريانية، اليونانية، الأرمينية، القبطية، العربية، وهو ما نقرؤه في أعمال لويس شيخو و جواد علي على سبيل المثال، غير أن المصادر الإسلامية بقيت تشكل الأغلبية في مادتهم الأساسية[١]. إلا أن هذه المنهجية بدأت في التغير التدريجي منذ سبعينات القرن العشرين حينما ظهرت عدة أعمال لمستشرقين عن تاريخ الإسلام المبكر كانت المصادر النصرانية الشرقية تشكل مادتها الغالبة[٢]. وهي مصادر دوَّنها غالبًا رجال دين نصارى، في بلاد الرافدين، والشام، ومصر، وآسيا الصغرى، من كتابات تاريخية غطت تفاصيل مهمة لتلك الحقبة كأخبار الفتوحات الإسلامية، وسياسة الحكام المسلمين تجاه أهل تلك البلاد خاصة الذين سُموا لاحقًا بـ «أهل الذمة»[٣]. وقد اتسمت معظم هذه الدراسات مع عمقها وشمولها مصادر كثيرة بالتركيز على دراسة السياق التاريخي لصدر الإسلام[٤].

إلا أن توظيف هذه المادة المصدرية رافقه تساؤل «استشراقي» منذ عقود طويلة حول مدى صحة الصورة التقليدية التي رسمتها مصادر التراث الإسلامي للتاريخ الإسلامي مستشهدًا على ذلك بالسيرة النبوية[٥]. ويبدو أن هذا التساؤل وجد استجابة غير مباشرة حينما ظهرت مدرسة حديثة في أوساط المستشرقين سعت من خلالها إلى تطوير أدوات جديدة للبحث في تاريخ صدر الإسلام، وهو ما مثّله «باتريشا كرون» (Patricia Crone) و«مايكل كوك» (Michael Cook) في كتابهما «الهاجرية» (Hagarism)، الذي حاولا من خلاله تقديم صيغة مختلفة لتاريخ صدر

الإسلام عبر استبدال المصادر التاريخية التي دونتها شعوب الشرق الأدنى وخاصة ما دوَّنه المؤرخون النصارى واليهود بمصادر التراث الإسلامي[٦]. كما قدم «جون وانسبرو» (John Wansbrough) نظريته التي زعم فيها أن الإسلام لم ينشأ كدين جديد بقدر ما كان نتيجة للصراع بين اليهودية والنصرانية[٧]. وهي نظرية مشابهة إلى حد بعيد لطرح «يهودا نيفو» (Yehuda D. Nevo)، و«جودث كورين» (Judith Koren) حينما حاولا توظيف نتائج الكشوفات الأثرية من النقوش والكتابات - غير الإسلامية - المعاصرة لصدر الإسلام، والعملات المعدنية، في نظريتهما التي تزعم أن العرب اعتمدوا عقيدة كانت خليطًا من اليهودية والنصرانية وطوروها بالتدريج؛ لتصبح في منتصف القرن الثامن الميلادي دينًا عُرف بالإسلام[٨]. ولا شك في أن هذا الاستنتاج لا يصمد أمام ذات المادة العلمية التي زعم الباحثان استخدامها في نظريتهما سالفة الذكر، والتي وثقت الإشارة الصريحة للنبي ﷺ في ٣٨ نصًا غير إسلامي أو أثريًا من القرن الأول الهجري[٩]. ولا يختلف استنتاج وانسبرو ويهودا نيفو وجودث كورين كثيرًا عن النظرية التي قدمها «فريد دونر» (Fred Donner)، والقائلة بأن الإسلام لم يكن سوى خليط من المعتقدات النصرانية واليهودية أنتجت حركة روحانية أكثر منها دينًا متكاملًا، ولم يبدأ يتبلور دينًا حقيقيًا وهويةً إلا منذ عهد الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان[١٠].

وبالمجمل فإن كل هذه المزاعم كانت محل نقد واسع حتى بين المستشرقين أنفسهم بشقيهم «الكلاسيكي» (Classical) و«التنقيحي» (Revisionist)؛ لأسباب كثيرة لعل منها عدم صمودها أمام الأدلة الأثرية، وعدم كفاية المصادر غير الإسلامية في رسم الصورة الحقيقية لتاريخ صدر الإسلام[١١].

وفي مقابل الدراسات الغربية، ظهرت عدة أعمال باللغة العربية تضمنت رصدًا واسعًا لما حفلت به كتابات مؤرخي البلاد المغلوبة، ومن أهم هذه الدراسات العربية

بحث قدمه د. صلاح محجوب عن «ظهور الإسلام في التواريخ السريانية»، وهي دراسة موسعة تضمنت عرضًا نقديًّا لمصادر سريانية متقدمة ومتأخرة عالجت حقبة صدر الإسلام[١٢]. غير أن هذه الدراسة تجاهلت مصدرًا سريانيًّا مبكرًا بعنوان: «نبذة تاريخية في فتوحات العرب» لمؤلف مجهول دوَّنه في مرحلة زمنية مبكرة للغاية كما سيتم توضيحه في حينه، كما أن معالجة المؤلف لتاريخ «توما القس» بدت منقوصة حينما أسماه بـ «تاريخ الخلفاء» وهو عنوان لتاريخ حولي آخر وضعه مؤلف مجهول في المخطوط نفسه كصلة لتاريخ توما القس[١٣]، وهو خلط لا يمكن تجاوزه، كما سيتم شرحه لاحقًا؛ إضافة إلى أن تفسير محجوب لموقف المؤرخين السريان تجاه النبي محمد ﷺ والإسلام وحركة الفتوحات لم يفرّق بين المؤرخين السريان المتقدمين والمتأخرين، كما أنه ركّز على تتبع الانطباعات السلبية تجاه كل ما له علاقة بالإسلام في التواريخ السريانية وربط أسبابها بموقفهم الديني المعادي للإسلام[١٤]. وإذا كان هذا التفسير ينطبق على مؤرخين سريان متأخرين مثل ميخائيل الكبير[١٥] وتوفيل الرهاوي[١٦، ١٧]، فإنه ليس بالضرورة أن يتفق مع مواقف مؤرخين سريان عاشوا في القرن السابع الهجري كما سيتبين في الصفحات التالية.

ومن الدراسات الموسعة في هذا الموضوع كتاب ألفه حسام عيتاني عن الفتوحات العربية في روايات مؤرخي «الأمم المغلوبة» من اليونان، والقبط، والأرمن، واليهود والسريان وغيرهم. وقد تناول المؤلف بإسهاب عدة موضوعات رئيسة مثل التسميات التي أطلقتها الأمم المجاورة على الفاتحين العرب، ومرحلة الفتوحات، وعلاقة الفاتحين العرب بـ «المغلوبين»[١٨]. والدراسة وإن كانت موسعة إلا أنها خلت من الحديث عن أوضاع الجزيرة العربية كما صوّرتها المصادر السريانية تحديدًا، كما أنها أهملت مقارنة ما دوّنته المصادر السريانية عن هذه الحقبة بما ورد في

نظيرتها الإسلامية. وكلتا المسألتين تستحقان البحث الموسع لأهميتهما في دراسة السؤال الشائك حول مصداقية ما دوّنه التراث الإسلامي حول هذه المرحلة[١٩].

وتتشابه دراسة حسام عيتاني مع دراسة أخرى قدمها تيسير خلف عن «الرواية السريانية للفتوحات الإسلامية»، والتي قدّم فيها قراءة سردية لبعض - وليس كل - المصادر السريانية التي أرّخت لظهور النبي محمد ﷺ ومرحلة الفتوحات وانتشار الإسلام[٢٠]. وتخلو هذه الدراسة من القراءة النقدية المقارنة لحوادث هذه المرحلة بين ما ورد في المصادر السريانية ونظيرتها الإسلامية، علاوة على ضعف منهجية التوثيق من خلال هوامش الكتاب.

ولمحمد مجيد بلال دراسة عن «الإسلام المبكر في التواريخ السريانية»، وهي عبارة عن دراسة مقارنة عن حقبة صدر الإسلام في ضوء تاريخي الطبري وميخائيل السرياني[٢١]. غير أنه من الأهمية بمكان القول هنا إن تاريخ ميخائيل السرياني كُتب في مرحلة زمنية متأخرة بقرابة خمسة قرون عن زمن الدراسة الحالية. وبالتالي فإن تصويره لصدر الإسلام قد لا يتفق مع ما طرحه مؤرخو السريان المعاصرون لهذه المرحلة في قضايا مهمة مثل قضية نبوة محمد ﷺ، والفتوحات ونحوها[٢٢].

ومن كل ما سبق، فإنه يمكن القول بأن في هذه الدراسة أداة يمكن من خلالها اعتبار ما تقدمه المصادر السريانية - غير الإسلامية - من مادة تاريخية دليلًا على مصداقية السرد التاريخي الذي تقدمه لنا مصادر التراث الإسلامي على اختلاف مشاربها من كتب تراجم، وطبقات، وفتوح، وكتب التاريخ العام، والمحلي وغيرها لمرحلة صدر الإسلام[٢٣]. وعلى الرغم من أنه لا يوجد اتفاق واضح على تحديد إطار زمني محدد لمرحلة «صدر الإسلام»، إلا أن هذه الدراسة ستتناول المرحلة الواقعة بين ظهور دعوة النبي محمد ﷺ في مكة حتى انقضاء القرن الهجري الأول، ذلك أنها شهدت أهم المتغيرات التي آلت في نهايتها إلى تكوّن خريطة سياسية ودينية واضحة للعالم الإسلامي.

إن إخضاع المصادر السريانية أولًا لمشرط النقد التاريخي يعني أن هذه المصادر كان ينبغي أن تكون محل النقد نفسه الذي وُجِّه إلى مصادر التاريخ الإسلامي على الأقل. وبمعنى أوسع، فإن ما تضمنه كثير من مصادر التاريخ الإسلامي من معلومات يشوبها في بعض الأحيان الغموض، وتعدد الروايات المتعارضة حول حركة الفتوح الإسلامية في العراق والشام وغيرها، كان مدعاة لإثارة الجدل والشك من قبل كثير من المستشرقين الغربيين حتى اليوم[٢٤]. على أنه من المهم هنا لفت الانتباه إلى أن هناك من أقر بأن المصادر غير الإسلامية - سريانية، أرمينية، قبطية، عبرية، يونانية - التي تؤرخ لهذه الحقبة تعتريها مشكلاتها المنهجية أيضًا، فالطريقة التي استقت بها هذه المصادر مادتها الأولية بقيت مجهولة، كما أن بُعد بعض مدوني هذه المصادر عن الجزيرة العربية أو حتى عن البلاد التي خضعت لحكمهم يجعل من دقة كتاباتهم محل تحفظ[٢٥]. ولأن ظهور الإسلام وبداية حركة الفتوحات كانا من الموضوعات التي أثارت جدلًا كبيرًا في الدراسات السابقة، فإن معالجة السياق التاريخي الذي صوّرت به مصادر البلاد المفتوحة هذه الموضوعات سيوفر إجابة للكيفية التي نظر بها المؤرخون السريان المعاصرون لتلك المرحلة الزمنية المبكرة من تاريخ الإسلام.

وإذا كانت صورة النبي محمد ﷺ في كتابات المؤرخين السريان قد حظيت بدراسة مستقلة صدرت مؤخرًا[٢٦]، فإن السؤال الذي ستركز عليه هذه الدراسة يتمثل في الكيفية التي صوّر بها مؤرخو البلاد المفتوحة من النصارى السريان البدايات الأولى لظهور الإسلام، وحملات جيوش الفتح العربي الإسلامي لبلادي الرافدين والشام، وسياسة الفاتحين العرب تجاه أهل هذه البلاد المفتوحة؛ إضافة إلى ذلك فإن دراسة مصادر هذه المرحلة الزمنية ستوفر إجابة شافية حول مصداقية مصادر التراث الإسلامي، وتلمس مدى تطابق ما تقدمه من روايات حول تاريخ هذه الحقبة مع نظيرتها من المصادر السريانية. ولضمان أكبر قدر من الإجابات الشفافة

عن هذه التساؤلات، سيقتصر هذا المبحث على دراسة ما دوّنته المصادر السريانية المبكرة خلال القرن السابع الميلادي/ الأول الهجري من معلومات متناثرة حول هذه الحقبة المبكرة في تاريخ الإسلام.

- **التعريف بالمصادر السريانية الرئيسة محل الدراسة:**

توفر للباحث نوعان من المصادر، هما: الرسائل والحوليات. وأهم الرسائل التي ترد في هذه المرحلة الزمنية مجموعة مكاتبات منسوبة إلى البطريرك ايشوعياب الثالث الحديابي (Isho'yahb III of Adiabene) التي تضمنت إشارات تاريخية بالغة الأهمية حول سياسة الفاتحين المسلمين تجاه سكان البلاد من النصارى(٢٧). ومنها أيضًا رسالة يعقوب الرهاوي (Jacob of Edessa) إلى يوحنا العمودي (John the Stylite) التي عكست وجهة نظر النصارى السريان تجاه بعض مسائل الدين الإسلامي كما سيتضح لاحقًا(٢٨).

أما فيما يخص الحوليات التاريخية التي دوِّنت في الحقبة الزمنية قيد الدراسة فقد توفرت للباحث ستة مصادر رئيسة، اعتمد فيها على أصولها المترجمة إلى اللغتين الإنجليزية والعربية كما سيتم إيضاحه أدناه، ويحسن إيرادها هنا حسب التسلسل الزمني التقريبي لمؤلفيها.

- **نبذة (جذاذة) تاريخية في فتوحات العرب لمؤرخ مجهول، «نص تاريخي عن الفتح الإسلامي لبلاد الشام يعود إلى عام ١٥هـ/ ٦٣٦م»:**

لعل من أهم ما لفت الباحث إغفال المؤلفين العرب مصدرًا تاريخيًا نادرًا وثمينًا أقدم من تلك التي وثّقوها في أعمالهم(٢٩). هذا المصدر هو عبارة عن نبذة أو مدونة تاريخية قصيرة للغاية عن الفتوحات العربية الإسلامية في بلاد الشام (A Record of the Arab Conquests of Syria). ويعد المستشرق الإنجليزي «وليم رايت» (William Wright) أول من أشار إلى هذه النبذة(٣٠)، ثم توالى اهتمام مستشرقين آخرين

بها، فترجمها الألماني «ثيودور نولدكه» (Theodor Nöldeke) إلى الألمانية لاحقًا[٣١]، ثم نشرها مستشرق إنجليزي آخر (E. W. Brooks) مع عدة نصوص سريانية أخرى مع ترجمة لاحقة إلى اللاتينية[٣٢]، قبل أن يترجمها «روبرت هويلند» (Robert Hoy-land) إلى الإنجليزية مطلع تسعينات القرن المنصرم[٣٣].

أما عن كيفية تحديد تاريخ كتابة هذه النبذة، فإنها -وبحسب روبرت هويلند-، ربما دُوِّنت في عام ١٥هـ/ ٦٣٦م، حيث إنها وجدت مكتوبة في الصفحات الأولى لأحد الأناجيل القديمة باللغة السريانية المحفوظة في الأرشيف البريطاني[٣٤]. وتعد هذه النبذة مع اختصارها الشديد ذات قيمة تاريخية بالغة الأهمية، إذ ربما كانت أقدم مصدر سرياني نص على اسم النبي محمد ﷺ والفتوحات الإسلامية لبلاد الشام. والعجيب هنا أن حسام عيتاني الذي اعتمد كثيرًا على هويلند في دراسة معظم المصادر النصرانية التي أرّخت لمرحلة الفتوحات الإسلامية لبلاد الشام لم يأت على ذكر هذا المصدر[٣٥]، بل تجاوزه إلى مصدر آخر مشابه وهو حولية منسوبة إلى توما القس (Thomas the Presbyter) التي تتشابه كثيرًا مع مضمون ولغة مصدرنا الحالي غير أنها تبدو متأخرة عنه قليلًا من الزمن[٣٦].

ويبدو أن هذه المدونة التاريخية هي جزء متبقٍ من مخطوط تاريخي فُقد أغلب صفحاته فضلًا عن عدم وضوح كثير من سطوره، إذ يبدو جليًّا أن ذلك المخطوط قد تعرض لكثير من عوامل التعرية التي قضت على معظم صفحاته باستثناء القطعة الحالية. أما منهج كتابة الحوادث التاريخية في هذه المدونة فيبدو أنه لم يخرج كثيرًا عن المنهج الذي اتبعه كثير من المؤرخين السريان المعاصرين لمؤلفها المجهول، فهو يميل بوضوح إلى اتباع المنهج الحولي، كما أنه يتبنى التقويم اليوناني السلوقي، حاله في ذلك حال كثير من معاصريه المؤرخين السريان؛ إضافة إلى ميله للاختصار الشديد على حساب تفصيل الحوادث التاريخية.

- **تاريخ توما القس (Chronicle of Thomas the Presbyter) :**

يعد تاريخ توما القس (توما القسيس) من أقدم التواريخ السريانية التي تحدثت بوضوح عن الفتوحات الإسلامية لبلاد الهلال الخصيب، وتضمنت ثاني إشارة مباشرة للنبي محمد ﷺ، فقد عايش المؤلف تفاصيل تلك الفتوحات وشهد مقتل أخيه شمعون على يد إحدى سرايا المسلمين الفاتحين على مدينة ماردين سنة ٦٣٦م/ ١٥هـ. وبحسب هويلند، فقد كانت مخطوطة هذا التاريخ ضمن مجموعة من محفوظات المكتبة البريطانية من المخطوطات السريانية قبل الكشف عنها لاحقًا[٣٧]. ولسنوات ظل مؤلف المخطوط مجهولاً حتى لاحظ هويلند ورود اسم توما القس من خلال روايته التاريخية لمقتل أخيه شمعون حينما أشار إلى نفسه بطريقة غير مباشرة في ثنايا النص قائلًا: « ... غزا العرب كل أراضي سوريا ثم اتجهوا إلى بلاد فارس ففتحوها، ثم تسلقوا (أي العرب) جبل ماردين فقتلوا الكثير من الرهبان في أديرة قيدار، و«بناتا»، وهناك مات الرجل المبارك شمعون، حاجب قيدار، وشقيق توما القس ...»[٣٨].

وقد لاحظ هويلند أن مؤلف المخطوط انتهى في سرد الحوادث عند السنة الثلاثين لحكم الإمبراطور هرقل، أي سنة ٦٤٠م، وهو ما قد يعني أن المؤلف دوّن مخطوطته بعد انطلاقة حركة الفتوحات الإسلامية مباشرة[٣٩]. ويتناقض هذا الرأي مع ما ذكره حسام عيتاني الذي يرى أن توما القس انتهى من تدوين تاريخه في زمن الخليفة الأموي يزيد بن عبدالملك[٤٠]. كما أنه يتناقض مع ما ذكره صلاح محجوب حينما أسمى الكتاب بـ «تاريخ الخلفاء» على أنه مؤرخ بعام ٧٤٢م[٤١]. وهذا خلط واضح لفت انتباه هويلند الذي بدا أكثر دقة في هذه المسألة المهمة، إذ لاحظ أن الورقة الأخيرة للمخطوط تختلف عما سبقها حيث ابتدأت بعنوان جديد باسم «كتاب الخلفاء» مع سرد سلسلة من الأحداث حتى عام ٧٤٢م[٤٢]. غير أن الأكثر

أهمية في ملاحظة هويلند كانت في الصفحة قبل الأخيرة؛ إذ إن كاتب الحولية وضع علامة نهاية الكتاب عند نهاية سرده لأحداث عام ٦٤٠م بقوله: «انتهى»[٤٣].

وثمة مسألة أخرى مهمة لابد من التطرق إليها هنا، فعلى الرغم من إجماع عدد كبير من الباحثين على نسبة المخطوط إلى توما القس[٤٤]، إلا أن منهجه في تدوين الحولية التاريخية كان محل نقد كبير بسبب طريقة جمع الأحداث وتدوينها بطريقة غير مرتبة زمنيًا[٤٥]. والمتصفح للحولية بترجمتها الإنجليزية سيجد أن المؤلف ضمّنها ثمانية أقسام رئيسة لتاريخه متّبعًا المنهج الحولي المعتمد على التسلسل الزمني للأحداث بحسب التقويم السلوقي اليوناني[٤٦]. إلا أن القارئ يلاحظ بوضوح اختلالًا كبيرًا في تسلسل ترتيب الأحداث مع ثبات المؤلف على استخدام التقويم السلوقي، فمع أن المؤلف يبدأ تاريخه بسرد مجموعة من الحوادث التي وقعت في عصر السيد المسيح عليه السلام؛ فإنه سرعان ما ينتقل إلى القرن السابع الميلادي ليتحدث عن الحرب البيزنطية - الفارسية أيام هرقل. وفي مكان آخر من الحولية التاريخية يسرد تواريخ غير مرتبة، فنجده يروي سلسلة حوادث وقعت في عام ٩٤٣ يوناني/ ٦٣١-٦٣٢م، ثم يعود فجأة إلى أحداث عام ٦٧٣ يوناني/ ٣٦١-٣٦٢م، وفي السطر الذي يليه ينتقل إلى القرن الذي يليه وتحديدًا عام ٧٤٦ يوناني/ ٤٣٤-٤٣٥م[٤٧].

- **التاريخ الصغير، حولية أحوازية في تاريخ نهاية الإمبراطورية الساسانية وظهور الإسلام ٥٩٠-٦٦٠م (Chronicle of Khuzistan):**

أما ثالث المصادر التي كُتبت في هذه الحقبة فهي حولية نسطورية سريانية لمؤرخ عاش في إقليم الأحواز إبان حملات الفتح الإسلامي للعراق والهضبة الإيرانية، عُثر عليها ضمن مجموعة مخطوطات وُضعت في مجلد واحد ضمن مقتنيات أحد أديرة النصارى الكلدان ببلدة «ألقوش» الواقعة بالقرب من مدينة الموصل شمال

العراق(٤٨). نشر هذا المصدر لأول مرة المستشرق الإيطالي «إغناطيوس غويدي» (Ignazio Guidi) بنصه السرياني الأصل عام ١٨٩١م، ثم حققه وترجمه إلى الألمانية لأول مرة المستشرق الشهير ثيودور نولدكه بعده بعامين تقريبًا(٤٩). ثم تُرجم لاحقًا إلى الفرنسية والروسية، قبل أن يحققه ويترجمه إلى العربية لأول مرة «بطرس حداد» في عام ١٩٧٦م(٥٠). ومؤخرًا قام نصير الكعبي بتحقيق هذا التاريخ وترجمة نصه كاملًا مع دراسة تحليلية ونقدية وافية لمحتوياته تضمنت استدراكات مهمة على نص الكتاب الذي نشره حداد(٥١). ويتميز هذا الكتاب بأنه يفوق سابقيه في التفاصيل التاريخية التي يوردها عن موضوعات الدراسة الحالية والتي قلّما ترد في مصادر سريانية أخرى، مثل حديثه المُفصّل عن فتوحات العراق وفارس، وبعض مدن العرب والكعبة المشرفة، وهو ما سيكون معرض تفصيل لاحق في الجزء الخاص بالموضوعات التي تناولتها المصادر السريانية(٥٢).

- **تاريخ يعقوب الرهاوي (The Chronological Canon of James of Edessa):**

لعل من أهم حوليات القرن السابق التاريخ المنسوب إلى رجل الدين والمؤرخ السرياني الشهير يعقوب الرهاوي(٥٣). تبقّى منه نسخة مخطوطة يتيمة ضمن محفوظات المتحف البريطاني عبارة عن صلة لتاريخ «يوسابيوس القيصري» (Eusebius of Caesare)، حيث يبتدئ فيها الرهاوي بأحداث عام ٦٣١م/ ٩هـ(٥٤). ويرجّح يوسف حبي أن الرهاوي دوّن تاريخه هذا بعد عام ٦٩٤م، ذلك أن مؤرخًا سريانيًا متأخرًا يُدعى «إيليا برشينايا» نقل منه خبرًا ضمن أحداث عام ٦٩٤م(٥٥). ويُعدّ المستشرق البريطاني «وليم رايت» أول من أشار إلى هذا التاريخ ضمن كتابه الذي ألفه في فهرس المخطوطات السريانية في المتحف البريطاني منذ عام ١٨٣٨م(٥٦)، قبل أن يقوم بروكس بترجمة النص الأصلي إلى الإنجليزية ونشره كاملًا عام ١٨٩٩م(٥٧). ثم قام المؤرخ العراقي يوسف حبي بتقديم ترجمة

كاملة لتاريخ يعقوب الرهاوي ونشره ضمن مجموعة تواريخ سريانية أخرى عام ١٩٨٢م.

أما عن منهجه في تدوين تاريخه؛ فإن الرهاوي لم يختلف كثيرًا عمن سبقه من مؤرخي السريان في اعتماد منهج التأريخ الحولي حسب التقويم اليوناني، والميل إلى الاختصار في ذكر الحوادث أو الشخصيات. غير أن منهج الاختصار هذا بدا مُخلًا تجاه كثير من الحوادث التي ذكرها، إذ بدا وكأنه يغفل ذكر كثير من التفاصيل الضرورية لتلك الحوادث، وهو ما سيتبين في السطور اللاحقة لهذه الدراسة.

- **تاريخ يوحنا ابن الفنكي (Chronicle of John bar Penkaye) :**

وخامس مصادر هذه المرحلة حولية بعنوان: «كتاب النقاط البارزة» (Book of Salient Points) أو كتاب «مختصر تاريخ العالم» (Resh Melle) لرجل الدين والمؤرخ السرياني المعروف «يوحنا ابن الفنكي» (John bar Penkaye) الذي عاش في النصف الثاني من القرن السابع الميلادي وعاصر النصف الثاني لعصر الخلافة الراشدة وقيام الدولة الأموية(٥٨). وينقسم هذا الكتاب إلى خمسة عشر فصلًا، تناول فيها تاريخ العالم منذ بدء الخليقة حتى الدولة الأموية التي عاصرها(٥٩). ويعتقد «مايكل بن» أن ابن الفنكي بدأ كتابة تاريخه في أثناء خلافة يزيد بن معاوية، وانتهى منه مطلع خلافة عبدالملك بن مروان(٦٠). وأيًّا كان تاريخ تدوين الكتاب فقد تناول ابن الفنكي في نهاية الفصل الرابع عشر والفصل الخامس عشر موضوعات مهمة في تاريخ الإسلام مثل ظهور النبي محمد ﷺ، وقيام الدولة الإسلامية، والفتوحات الإسلامية، وسياسة الدولة الإسلامية تجاه أتباع الأديان الأخرى في البلاد المفتوحة، وهو ما سيكون محل نقاش في المبحث التالي من هذه الدراسة.

وقد حظي الجزآن الرابع عشر والخامس عشر بأكثر من دراسة وترجمة إلى اللغتين الإنجليزية والفرنسية؛ كانت أولاها عن طريق «ألفونسو منجانا» (Alphonse

Mingana) الذي ترجم الجزء الخامس عشر من الكتاب عام ١٩٠٨م[٦١]. ثم ترجم «إبراهيموسكي» (Abramowski) النصوص المتعلقة بالفتوحات الإسلامية من نهاية الجزء الرابع عشر حتى الجزء الخامس عشر إلى الألمانية عام ١٩٤٠م، قبل أن يقوم «سيباستيان بروك» (Sebastian Brock) بترجمة الجزء الخامس عشر ونشره كاملًا باللغة الإنجليزية في ثمانينات القرن المنصرم[٦٢]. ثم قام «روجر بيرز» (Roger Pearse) بإعادة ترجمة ونشر الجزأين الرابع عشر والخامس عشر سوية بالاعتماد على ترجمة ألفونسو منجانا السابقة الذكر[٦٣]. ومؤخرًا قدم «إيمانيول جوزيف» (Emmanuel Joseph) دراسة وافية وشاملة عن تراث ابن الفنكي ومنها تاريخه آنف الذكر في أطروحته التي قدمها لنيل درجة الدكتوراه من «جامعة تورنتو» بكندا[٦٤].

■ موضوعات صدر الإسلام في التواريخ السريانية:

تناول المؤرخون السريان ظهور الإسلام وانتصاره في هذه المرحلة الزمنية الحاسمة من تاريخ العالم باهتمام بارز؛ فحاول بعضهم تسليط الضوء على جزيرة العرب والعرب القادمين من أرجائها الواسعة؛ لمعرفة خلفياتهم الدينية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية، كما كان النبي محمد ﷺ شخصية جدلية في كتاباتهم وهو ما سبقت دراسته في مبحث آخر[٦٥]، ثم جعلوا من صراع المسلمين العرب مع إمبراطوريتي الفرس الساسانيين والروم البيزنطيين والفتوحات العربية الإسلامية على امتداد منطقة الهلال الخصيب موضوعات رئيسة في كتبهم. ولعل اللافت في ذلك كله اتفاق مؤرخي هذه الحقبة على عدّ «القدر الإلهي» سببًا رئيسًا لانتصار العرب على القوتين العظميين وإنجاز هذه الفتوحات في زمن تاريخي وجيز مقارنة مع غيرهم من القوى التي مرت على المنطقة عبر التاريخ[٦٦].

• جزيرة العرب في صدر الإسلام كما صورها المؤرخون السريان:

تبدو معلومات المؤرخين السريان عن جزيرة العرب وسكّانها والوضع السياسي فيها الذي سبق خروج جيوش الفتوحات الإسلامية فيما يبدو من كتاباتهم قليلة،

ولكنها على قلتها ذات أهمية بالغة في أبعادها الدينية، والسياسية، والبشرية، والاقتصادية. فإذا ما تناولنا التسميات التي أطلقها هؤلاء المؤرخون على سكان الجزيرة العربية يتضح أنهم استخدموا عدة مصطلحات لوصف العرب القاطنين في جزيرة العرب مثل: «بنو طيئ» (الطائيون)، و«السراسنة»، و«الهاجريون» (بنو هاجر)، والإسماعيليون (بنو إسماعيل)، ولكل اسم منها دلالته كما سنرى.

وتبدو مفردة «الطائيون» أو «بنو طيئ» الأكثر تداولًا عند مؤلف «نبذة في فتوحات العرب»، وتوما القس، ويعقوب الرهاوي[٦٧]. ويبدو واضحًا أن استخدام هذه التسمية كان نسبة إلى قبيلة طيئ العربية الشهيرة، ويرى بعض الباحثين أن الفرس كانوا سبب انتشار تسمية «الطائيين» في الهلال الخصيب بسبب علاقاتهم بـ «بني لخم» الموالين للإمبراطورية الفارسية[٦٨]، وهو سبب ممكن، غير أن ثمة سببًا آخر ينطلق من الموقع الجغرافي لهذه القبيلة الذي ربما امتد في بعض الأحيان إلى مناطق متاخمة لبلاد الشام، نظرًا لطبيعة حياة بعض بطون هذه القبيلة الكثيرة التي فضلت حياة البداوة المعتمدة على حياة التنقل والترحال طلبًا للماء والمرعى فوصلت إلى تخوم بلاد الرافدين وبلاد الشام. وهذا يدفعنا لمناقشة سبب آخر يتمثل في الدور الاقتصادي الذي قامت به بعض بطون هذه القبيلة في شمال الجزيرة العربية، مثل حراسة قوافل التجارة، وحماية الأسواق، وجلب البضائع المتنوعة إليها كالجمال والمواشي ومنتجاتها[٦٩]. وهذا يعني ارتباط هذه القبيلة بعلاقات تجارية مع الإمبراطوريتين الساسانية الفارسية والبيزنطية، وهو ما يعد سببًا وجيهًا لأن تطلق الشعوب الخاضعة لسيادة الإمبراطوريتين اسم قبيلة «طيئ» على العرب القادمين من الجزيرة العربية.

وباختلاف جذري فضّل يوحنا ابن الفنكي في تاريخه، ويعقوب الرهاوي في رسالته التي وجهها إلى رجل دين سرياني يقال له «يوحنا العمودي» (John the Stylite) نعت العرب بـ «بني هاجر» أو «الهاجريين» نسبة إلى هاجر أم إسماعيل

ابن إبراهيم – عليهما السلام[٧٠] –، والحال أن هذه التسمية إلى جانب تسميتهم الأخرى «بنو إسماعيل» تكاد تكون الأكثر شيوعًا في كتابات معظم المؤرخين النصارى الشرقيين مثل السريان، واليونان، والأرمن، والقبط[٧١].

إلا أن ثمة تطورًا لافتًا يُقرأ في رسالة رجل الدين النسطوري إيشوعياب الثالث إلى «شمعون مطران ريو أردشير» (Simeon of Rewardashir) في بلاد فارس حينما نعت العرب باسمهم الصريح «عرب» في ثنايا حديثه عن سياسة الفاتحين المسلمين تجاه الأقليات النصرانية في البلاد المفتوحة، والذي سيكون محور نقاش لاحق[٧٢]. ويقرّ «روبرت هويلند» و«فيليب بين» بأهمية هذا التطور اللافت؛ ذلك أن إيشوعياب – كحال غيره من السريان – اعتاد في رسائله السابقة لهذه الرسالة تحديدًا على استخدام مصطلحي «الطائيين» أو «الهاجريين» عند وصفه العرب الفاتحين[٧٣].

وفي جانب آخر، فإن ما دوّنه المؤرخون السريان عن الجزيرة العربية يقدم دلالة واضحة على أن معرفتهم بجزيرة العرب وأحوالها السياسية، والدينية، والاجتماعية، والاقتصادية ظلت محدودة، فإذا ما تناولنا ما كتبه يعقوب الرهاوي فإنه تحدث عن العرب والإسلام في مناسبتين، ففي الأولى تحدث بإيجاز عن: «بدء دولة العرب الذين يُقال لهم آل طيئ»، عام ٩٤٠ يوناني/ ٦٢٩م/ ٧–٨هـ[٧٤]. أما في المناسبة الثانية فقد تحدث عن المسلمين ودينهم في رسالته إلى يوحنا العمودي وذكر فيها «الكعبة» باسمها الصريح في معرض حديثه عن بعض المسائل الدينية في الإسلام من وجهة نظر نصرانية[٧٥]. وليس مستبعدًا أن الرهاوي استقى بعض معلوماته – خاصة الإشارة الأخيرة – ممن خالطهم من المسلمين. ومع ذلك فمن الواضح أن معرفة الرهاوي عن جزيرة العرب أو حتى عن المسلمين العرب ظلت محدودة بدلالة إصراره على نعتهم بـ «الهاجريين»[٧٦].

ووحده كان مؤلف «التاريخ الصغير» أكثر اجتهادًا في بحث أوضاع جزيرة العرب قبل ظهور الإسلام. إذ نجده يُشير إلى ما يسميه «قبة إبراهيم» معترفًا بأنه لا يعرف

عنها سوى أن إبراهيم عليه السلام بناها واتخذها موضعًا «ليتعبد اللّٰه عز وجل، ويتقرب له بالذبائح... عندما أراد الابتعاد عن حسد «الكنعانيين»، ثم تبعه ذريته من العرب محتفظين بذكرى الموضع المتواتر، وليس هذا حدثًا جديدًا عليهم أن يتعبدوا هناك، فقد كانوا منذ فجر تاريخهم يظهرون التوقير للأب (يقصد إبراهيم عليه السلام) رأس أمتهم»[٧٧].

يتضح من هذا النص بجلاء أن المؤلف هنا يقصد بناء الكعبة المشرفة التي يسميها بـ «قبة إبراهيم»، ولهذا النص أهميته التاريخية، ذلك أنه يتوافق كثيرًا مع السياق التاريخي الوارد في القرآن الكريم، والسنة النبوية، ومصادر التراث الإسلامي. ومع إقراره بذلك إلا أن هويلند يرى أن كثيرًا من تفاصيل هذا النص وردت في «سفر التكوين» (Book of Genesis) الذي أشار إلى ذهاب إبراهيم عليه السلام إلى الجنوب - جزيرة العرب - حيث أمره ربه أن يبني «مذبحًا للرب»، ثم وعد اللّٰه إبراهيم وابنه إسماعيل - عليهما السلام - أن يخرج من صلبيهما أمة عظيمة[٧٨]. والحال أن ما أورده هويلند هنا ملاحظة جديرة بالقبول، لكن لا ينفي مصداقية «السياق التاريخي الإسلامي» للكعبة الشريفة، لا لأنها وردت في القرآن، أو العهد القديم فحسب، بل إنها أمر مُسلّم به تاريخيًّا حتى عند عرب الجاهلية[٧٩].

ويواصل المؤلف المجهول حديثه عن الموضع الذي يحتضن «قبة إبراهيم» متحدثًا عن الأهمية الدينية لمكة والمدينة قائلًا: «إن مدينة «حصور» التي دعاها الكتاب المقدس رأس الممالك كانت للعرب، وكذلك «المدينة» التي اتخذت هذا الاسم من «مديان»، وهو ابن إبراهيم الرابع من زوجته «قطورة»، ويطلق عليها أيضًا اسم يثرب»[٨٠].

يجمع بطرس حداد ونصير الكعبي على أن مؤلف «التاريخ الصغير» اقتبس كثيرًا من مصطلحات هذا النص من «سفر يشوع» (Book of Joshua)، وهذه مسألة لا يمكن إنكارها[٨١]. لكن هذا النص في سياق النقاش الحالي يعكس بعضًا من

نظرة مؤرخي الأمم الأخرى للمدينتين المقدستين في تلك الحقبة المبكرة للغاية والتي تعترف بما لهما من مكانة دينية. ولعل الجانب الأكبر من هذا الاعتراف ينصب على مكة المكرمة التي وصفها المؤلف بـ «رأس الممالك». والسبب في هذا الافتراض أن مؤلف «التاريخ الصغير» وضع الحديث عن مكة والمدينة في سياق نقاشه التاريخي عن سبب تقديس العرب لـ «قبة إبراهيم». إلا أن ثمة مسألة جديرة بالملاحظة هنا فوصف المؤلف مكة بـ «رأس الممالك» لا يعني أن مكة كانت عاصمة لدولة كبرى، فقد تعاقبت على حكمها عدة قبائل مثل جرهم(٨٢) وخزاعة(٨٣) قبل أن تستقر الأمور فيها لقريش(٨٤)، حيث تمتعت مكة في عهدها بنظام سياسي ومدني مستقر ومستقل أشبه ما يكون بـ «دولة المدينة»، إذ ظل سادات قريش يتقاسمون النفوذ حتى ظهور الإسلام(٨٥). لكن ذلك يؤكد ما سبق استنتاجه من أن معرفة المؤرخين السريان بأحوال جزيرة العرب ظلت محدودة ومقتصرة على ما يصلهم عبر الروايات الشفهية أو ما يقرؤونه في الكتب المقدسة. وثمة أمر آخر لفت الباحث وهو أن «كرون» تجاهلت هذا النص تمامًا مرتين، الأولى في كتابها «تجارة مكة»(٨٦)، والمرة الثانية مع «كوك» في كتابهما «الهاجرية» في ثنايا النقاش حول ذكر مكة في المصادر السريانية حينما زعما أن المؤرخين السريان لم يشيروا إلى مكة باسمها الصريح(٨٧)، وهو ما كان محل نقد باحث حديث لم يجد تفسيرًا لاستنتاج هذه النظرية سوى لجوء كرون لاستخدام خيالها في بعض مراحل بحثها(٨٨). والواقع أنه لا يوجد سبب مقنع لهذا التجاهل، خاصة أن كتاب «التاريخ الصغير» كان منشورًا بعدة لغات أوروبية قبل تأليف «الهاجرية» بزمن طويل(٨٩).

إضافة إلى ذلك فإن مكة حتى وإن لم ترد باسمها الصريح فإن جدلية «كرون» و«كوك» تجافي الحقيقة، ذلك أن لكل ثقافة أو أمة مصطلحاتها اللغوية التي تطلقها على الشعوب الأخرى وديارهم وأديانهم، كما هو حال العرب حينما كانوا يسمون مملكة أكسوم بالأحباش، والصليبيين بالفرنجة، أو اليونان القدماء الذين أطلقوا

على العرب «السراسنة»، أو السريان أنفسهم الذين ظلوا ينعتون المسلمين العرب بالهاجريين أو الطائيين أو بني إسماعيل حتى بعد الفتح الإسلامي للعراق والشام بعقود طويلة على سبيل المثال؛ إضافة إلى ما سبق فإن كل معطيات النص الذي قدمه صاحب «التاريخ الصغير» لا تخرج في سياقها التاريخي عن مكة والكعبة الشريفة، أو مدينة «حصور»، و«قبة إبراهيم» حسب تعبيره. أما ما يختص بحديثه عن سبب اتخاذ «المدينة» اسماها الحالي بدلًا من «يثرب» فربما تكون في رأي هويلند نتيجة لترادف مفردتي «الإسماعيليين» و«المديانيين» في سفر التكوين. وغني عن القول أن اتخاذ النبي محمد ﷺ اسم المدينة المنورة بدلًا من يثرب يبقى حقيقة تاريخية، إلا أن اللافت هنا أن هذا المصدر يكاد يكون أول مصدر سرياني يشير إلى المدينة المنورة باسمها الصريح، وليس يثرب التي ظلت متداولة حتى في مصادر سريانية أُلفت بعد هذا الكتاب[٩٠]، وليس مستبعدًا أن المؤلف استقى هذه المعلومة من رواية إسلامية معاصرة للأحداث.

أما في بقية سطور تاريخه، فقد سلط صاحب «التاريخ الصغير» الضوء على الأهمية الاقتصادية لبعض مدن وأقاليم الجزيرة العربية، فقد أشاد بـ «دومات جندل» (أي دومة الجندل) وأرض الهاجريين الغنية بالمياه وأشجار النخيل، ومبانيها المحصنة. وكذلك الحال بالنسبة إلى «حطا» الواقعة على ساحل البحر بالقرب من جزر قطر الغنية بالكثير من أنواع النباتات[٩١]، وكذلك الحال ينطبق على أرض «مازون» – أي عمان – الممتدة إلى أكثر من مئة فرسخ، واليمامة الواقعة في وسط الصحراء، ومنطقة الطوف – الطائف على الأرجح[٩٢، ٩٣] –.

لم يأت الحديث هنا عن البيئة الطبيعية، وعواصم أقاليم جزيرة العرب من فراغ، فبقدر ما يعكس إلمامًا لا بأس به لصاحب «التاريخ الصغير» عن هذه المنطقة المجهولة فاق به غيره من المؤرخين السريان، فإنه يعكس أيضًا وجود علاقات تجارية واقتصادية مزدهرة ربطت هذه الأقاليم البعيدة بالبلدان التي تهيمن عليها

الإمبراطورية الفارسية الساسانية، وخاصة غرب الهضبة الإيرانية، وبالتالي فليس من المستبعد أن يستقي هذا المؤرخ معلوماته من بعض التجار الذين قدموا من هذه الجهات أو مروا بها.

وفي المجمل فإن حديث المؤرخين السريان في القرن السابع الميلادي عن قيام دولة الإسلام في المدينة، أو حتى عن جزيرة العرب، يندرج ضمن السياق التاريخي لتناولهم ظهور النبي محمد ﷺ ولا يكاد ينفك عنه في معظم نصوصهم، حتى وإن تضمن تفاصيل اقتصادية وجغرافية كما في حالة «التاريخ الصغير».

- **فتوحات بلاد الشام والجزيرة:**

تؤرخ المصادر السريانية للفتح العربي الإسلامي لبلاد الشام منذ زمن مبكر للغاية يعود إلى بداية حركة الفتوحات نفسها؛ إذ تناول يعقوب الرهاوي في تاريخه وابن الفنكي في «النقاط البارزة» الفتح العربي الإسلامي ضمن السياق العام لانتصار «بني هاجر» على إمبراطورية الروم دون الدخول إلى تفاصيل ذلك الصراع منذ بدايته وأهم معاركه[٩٤]. غير أن أول هذه المصادر التي توثق حوادث مهمة ضمن عملية الصراع هذه كان «تاريخ توما القس» الذي تفرد بالحديث عن معركة أجنادين قائلًا: «عند الساعة التاسعة، في يوم الثلاثاء ٤ فبراير سنة ٩٤٥ يوناني (١٣هـ/ ٦٣٤م)، وقعت معركة كبيرة بين الروم و«طائيي محمد»[٩٥]، في فلسطين في منطقة تبعد حوالي ١٢ ميلًا إلى الشرق من غزة. ولى الروم فارين وتركوا خلفهم ابن البطريرك «يردن»[٩٦]، الذي قتله «الطائيون». كما قُتل بعض سكان القرى الفلسطينيين هناك من نصارى، ويهود، وسامريين. لقد نشر العرب الخراب في الإقليم كله»[٩٧].

أما مؤلف «التاريخ الصغير» فيورد نصًا آخر يقترب كثيرًا من سياق معركة أجنادين قائلًا: «وبعد فترة من الزمن خرج من بين صفوف العرب رجل اسمه خالد

(بن الوليد)، فرحل إلى الجهات الغربية - أي الشام -، فاحتل الأمصار وفتح البلدان حتى بلغ عربة. فلما بلغت هذه الأنباء مسامع هرقل ملك الروم، أعد جيشًا عرمرمًا وأرسله لمقاتلته بقيادة رجل اسمه «سقيلرا»، فدحرهم العرب وقضوا على أكثر من مئة ألف محارب من الروم وقتلوا قائدهم ...»[٩٨].

ويتخذ بطرس حداد ونصير الكعبي من اسم القائد ثيودور وإيراد النص بعد معركة تستر التي وقعت سنة ١٧هـ/ ٦٣٦م دلالة على أن المؤلف يقصد بهذا النص التاريخي معركة اليرموك[٩٩]. غير أن ثمة أدلة تجعل الباحث يميل إلى أن النص أقرب إلى توصيف معركة أجنادين منه إلى معركة اليرموك. فوادي عربة الذي يذكر صاحب «التاريخ الصغير» أن خالد بن الوليد اتجه إليه يقع في غور الأردن أي في الأطراف الشرقية لفلسطين وهو أقرب جغرافيًا إلى أجنادين، وفي هذا النص إشارة غير مباشرة إلى أن خالد بن الوليد اتجه إلى فلسطين لا إلى اليرموك. على أنه يجب الاعتراف هنا أن النص الذي أورده مؤلف «التاريخ الصغير» بدا مقتضبًا وغامضًا وغير دقيق، ذلك أن خط السير الذي اتخذه خالد بن الوليد انطلق من «الحيرة» عبر بادية الشام ومر ببلدة «أرك»، فتدمر، فغوطة دمشق، ثم بصرى قبل أن يصل إلى فلسطين ويرتب جيوشه استعدادًا لقتال الروم[١٠٠].

وفي ذات السياق فإن أحد أسباب مجيء خالد بن الوليد نفسه من العراق إلى بلاد الشام هو تولي القيادة العامة للجيش الإسلامي في معركة أجنادين، وهو ما نص عليه مؤلف «التاريخ الصغير»، بينما لم يكن كذلك في معركة اليرموك وهو ما فات حداد والكعبي، فبأوامر من الخليفة عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان أبو عبيدة ابن الجراح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو القائد العام في اليرموك قبل أن يفوّض سلطاته العسكرية إلى خالد بن الوليد لخبرته في هذا المجال[١٠١]. وثمة دليل رابع في رواية «التاريخ الصغير» والمتمثل في الإشارة إلى مقتل قائد الجيش البيزنطي، وهو ما نص عليه

الطبري أيضًا في تاريخه حينما أشار إلى مقتل «توذرا» - أي ثيودور - شقيق هرقل وقائد جيوشه في هذه المعركة[١٠٢]، ولعل هذا التطابق التاريخي سبب آخر لترجيح الرأي القائل بأن النص الذي أورده مؤلف «التاريخ الصغير» يصف معركة أجنادين لا اليرموك.

وفي المجمل فإن ما أوردته المصادر السريانية السابقة حول موقعة أجنادين لا يبتعد كثيرًا عن الرواية الإسلامية تأريخًا، ومضمونًا، ونتائج. إذ يذكر مؤرخو الإسلام مثل الواقدي والبلاذري والطبري أن هرقل حشد ما بين ٩٠-١٠٠ ألف مقاتل من الروم و«العرب المتنصرة» وأهل الشام ودفع بهم إلى اتجاه فلسطين[١٠٣]. وفي المقابل كان خالد بن الوليد قائد الجيوش الإسلامية قد اتخذ من أجنادين نقطة تجمع لقواته حيث قام بتنظيم وإعداد جيشه البالغ نحو ٣٠ ألف مقاتل حسب الرواية الإسلامية[١٠٤]. وفي ٢٧ جمادى الأولى ١٣هـ/ ٣٠ يوليو ٦٣٤م دارت معركة هائلة بين الطرفين أدت إلى هزيمة كبيرة للجيش البيزنطي الذي فقد آلاف القتلى من أفراده. أما عن مقصد المؤلف بالقتلى الفلسطينيين من نصارى ويهود وسامرة؛ فالواقع أن سياسة جيش الفتح الإسلامي التي أعلنها الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه وشدد على قادة جيشه تنفيذها تقتضي عدم التعرض للمدنيين[١٠٥]، وبالتالي فإن السياق التاريخي للمعركة يميل إلى اعتبار أن هذه المجاميع الدينية والعرقية المختلفة كانت متحالفة مع الجيش البيزنطي في التصدي لجيش المسلمين العرب الفاتحين، وهو ما يتلاقى مع الرواية الإسلامية التي أكدت تحالف مجاميع من السكان المحليين في بلاد الشام مع الجيش الذي أعده الإمبراطور هرقل خصيصًا للتصدي لجيش الفتح الإسلامي؛ إضافة إلى ما سبق فإن ثمة تشابهًا في اسم الشخصية البيزنطية «بردن» التي أشار توما القس إلى مقتله مع رواية الواقدي عن مقتل «وردان» أحد قادة الجيش البيزنطي في ذات المعركة[١٠٦]. وأيًا كان الاختلاف

حول اسم الشخصية القيادية في الجيش البيزنطي؛ فإن المحصلة بين الروايتين تتفق على اندحار الجيش البيزنطي في تلك المعركة المهمة.

وفي ذات السياق التاريخي لفتوحات الشام، يورد مؤلف «نبذة تاريخية في فتوحات العرب» تفاصيل مهمة عن الحوادث اللاحقة لمعركة أجنادين، إذ ذكر استسلام مدينة حمص للمسلمين، وهو بذلك يصادق على الرواية الإسلامية التي أجمعت على أن حمص فُتحت صلحًا سنة ١٤هـ/ ٦٣٥م[١٠٧]. إذ يشير الواقدي إلى أن خالد بن الوليد فرض حصارًا على حمص في شوال سنة ١٤هـ قبل أن يلحقه أبو عبيدة عامر بن الجراح ببقية الجيش الإسلامي، حيث عقد صلحًا مع «جاثليق» حمص الذي أقر له بتسليم المدينة صلحًا « ... على عشرة آلاف دينار ومئتي ثوب من الديباج ...»[١٠٨].

وعودةً إلى كاتب «النبذة التاريخية» فإنه يشير من خلال النص المتبقي إلى ما يصفه بتدمير العديد من القرى، ووقوع العديد من الناس بين قتلى وأسرى في محيط مدينة حمص قائلًا: « ... قام «بنو»....[١٠٩] حمص، وقام «طائيو محمد» بتدمير العديد من القرى وقتل وأسر الكثير من الناس ...»[١١٠]. ومع تلف كثير من مفردات النص الأصلي للنبذة التاريخية، فإن الجزء المتبقي منها يقصد على الأرجح الحملة العسكرية التي قام بها جيش الفتح العربي الإسلامي على ريف حمص والتي أحدثت دمارًا كبيرًا وخلّفت أعدادًا كبيرة من القتلى والأسرى حسب تعبير المؤلف المجهول. والواقع أن هذه الإشارة التاريخية تحمل كثيرًا من التطابق مع ما ذكره توما القس وصاحب «التاريخ الصغير» اللذان زعما أن العرب قاموا بـ «نشر الخراب في سورية كلها»[١١١].

لا بد من الاعتراف أن كل هذه الإشارات لا يمكن تجاوزها دون الإقرار بأن الفتح الإسلامي لبلاد الشام - أو لغيرها من البلدان - لم يكن بردًا وسلامًا كما

يظن بعض من يقرأ التاريخ، فالحروب مهما كانت عدالتها وحضارية جيوشها لابد أن تخلّف كثيرًا من الضحايا بشريًا وماديًا، ولن تكون خالية من الأخطاء والتجاوزات الناتجة عن ممارسات بعض الجند والقادة، والفتح الإسلامي لبلاد الشام ليس استثناءً منها؛ إضافة إلى ذلك، فإن ثمة مسألة ينبغي إدراكها هنا تتمثل في مدى التزام أفراد جيوش الفتح الإسلامي بالسياسة التي رسمها الخليفة أبو بكر الصديق وسار عليها خلفاؤه من بعده، والتي شدد فيها على تجنيب المدنيين وأماكنهم آثار الحرب قدر الإمكان كما سبقت الإشارة إليها(١١٢). الإجابة عن ذلك تتمثل في ضرورة إدراك الفارق بين النظرية والتطبيق لثلاثة أسباب محتملة، أولها: أن القبول بوصول وصية الخليفة أبي بكر لكل أفراد الجند المسلمين تبقى مسألة محل شك نظرًا لضعف وسائل الاتصال والإعلام في ذلك العصر. وثانيها: أن جيوش الفتح الإسلامية ضمّت أعدادًا كبيرة من المقاتلين حديثي العهد بالإسلام الذين يصعب السيطرة على تصرفاتهم في الحروب. أما ثالث الأسباب فيتمثل في أن التزام قادة الجيوش بتعليمات الخليفة أبي بكر في كثير من المعارك تبقى رهينة ما يقتضي الموقف العسكري حينها؛ وهذا ما يعد سببًا محتملًا أيضًا.

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه عن ماهية ذلك الخراب الذي يمكن أن يحدثه العرب في بلاد الشام؛ هل هدموا الكنائس، أو دمروا الجسور، أو أحرقوا المزارع وغيرها؟ لعل الملاحظ أن سردية قصص الخراب أو الدمار السابقة اتسمت بالعمومية وعدم الخوض في التفاصيل ولو بذكر مثال على حادثة دمار واحدة، بينما تضمنت تفاصيل لا بأس بها عن معارك وفتح مدن كبيرة. فمؤلف النبذة المجهول لم يزودنا بمعلومات شافية حول آثار ذلك الدمار وطبيعته، وهل كان القتلى مدنيين أم من مقاتلي الجيش البيزنطي؟ وعلى نفس منواله كان توما القس وصاحب «التاريخ الصغير» يكتفيان بإبراز مفردة «الخراب» على حساب التفاصيل الدالة على ما ذكراه.

ولا تختلف هذه السردية عما ورد في مصادر نصرانية غير سريانية معاصرة لحركة الفتوحات؛ فعلى سبيل المثال، لم يشر المؤرخ الأرمني «سبيوس» (Sebeos) في معرض حديثه عن فتح المسلمين لبلاد الشام إلى حوادث تدمير مدن، أو دور عبادة، أو مجازر في حق المدنيين، بل اكتفى بسرد تفاصيل معركة أجنادين ووصف مشاهد الهزيمة التي مُني بها الجيش البيزنطي(١١٣). إلا أنه نص باقتضاب على أن «أهل البلاد سارعوا بالتسليم إلى الإسماعيليين» عقب انتهاء المعركة الحاسمة، وهو ما يبدو أنه إشارة غير مباشرة للمدن الشامية التي فُتحت صلحًا على يد المسلمين. والشيء نفسه ينطبق على «تاريخ فريدقر» (Chronicle of Fredegar) وهو مصدر لاتيني دُوِّن بين عامي ٣٧ و ٣٩هـ/ ٦٥٨ و ٦٦٠م، فقد وصف بإيجاز كيف أن المسلمين (السراسنة كما أسماهم) دخلوا بجيوش غفيرة إلى الأراضي الخاضعة لسيطرة الإمبراطور هرقل، متحدثًا بالتفصيل عن الهزيمة العسكرية الحاسمة - دون أن يحدد اسم المعركة - التي مُنيت بها جيوش هرقل على يد المسلمين وفقدت على إثرها أكثر من ١٥٠ ألف مقاتل(١١٤). والملاحظ أن السياق التاريخي الذي أورده هذا المؤرخ لفتح بلاد الشام لم يتضمن إشارة حقيقية إلى أن ثمة «خرابًا»، أو «دمارًا»، أو «مجازر» وقعت في حق المدنيين من سكان البلاد، أو حتى في ممتلكاتهم المادية ودور عبادتهم. وبالتالي فإن الروايتين الأرمنية واللاتينية تظهران تطابقًا لافتًا في عدم الإشارة إلى وقوع حوادث تدمير أو مجازر خارج السياق العسكري لفتوحات بلاد الشام.

أما الرواية الإسلامية فإنها تقدم تفاصيل أكثر وضوحًا لما حدث في المناطق الريفية الواقعة بين دمشق وحمص، إذ يجمع المؤرخون المسلمون على أكثر من موقعة كبرى كانت بمثابة التمهيد لفتح هذه المدن الكبرى. ففي أولى تلك الوقائع يذكر الواقدي والبلاذري وابن خياط أن أبا عبيدة عامر بن الجراح وجه خالد بن الوليد على رأس جيش إسلامي إلى حمص لفتحها في سنة ١٤هـ، فتصدت له قوة عسكرية

بيزنطية في بلدة «جوسية» على بعد ستة فراسخ من حمص، فألحق بها خالد بن الوليد هزيمة كبيرة اضطرتها للتراجع إلى حمص والتحصن بها(١١٥).

وفي السياق نفسه يذكر الطبري تفاصيل معركة أخرى وقعت في العام التالي، أي السنة الـ ١٥هـ/ ٦٣٦م إذ يقول: «وفي هذه السنة كانت الوقعة بمرج الروم، وكان من ذلك أن أبا عبيدة خرج بخالد بن الوليد من فحل إلى حمص، وانصرف بمن أضيف إليهم من اليرموك، فنزلوا جميعًا على ذي الكلاع، وقد بلغ الخبر هرقل، فبعث توذرا البطريق حتى نزل بمرج دمشق وغربها، فبدأ أبو عبيدة بمرج الروم وجمعهم هذا، وقد هجم الشتاء عليهم والجراح فيهم فاشية، فلما نزل على القوم بمرج الروم نازله يوم نزل عليه شنس الرومي، في مثل خيل توذرا، إمدادًا لتوذرا وردءًا لأهل حمص، فنزل في عسكرعلى حدة، فلما كان من الليل أصبحت الأرض من توذرا بلاقع، وكان خالد بإزائه وأبو عبيدة بإزاء شنس، وأتى خالدا الخبر أن توذرا قد رحل إلى دمشق، فأجمع رأيه ورأي أبي عبيدة أن يتبعه خالد، فاتبعه خالد من ليلته في جريدة، وقد بلغ يزيد بن أبي سفيان الذي فعل، فاستقبله فاقتتلوا، ولحق بهم خالد وهم يقتتلون، فأخذهم من خلفهم، فقُتِلوا من بين أيديهم ومن خلفهم، فأناموهم ولم يفلت منهم إلا الشريد، فأصاب المسلمون ما شاءوا من ظهر وأداة وثياب، وقسم ذلك يزيد بن أبي سفيان على أصحابه وأصحاب خالد، ثم انصرف يزيد إلى دمشق، وانصرف خالد إلى أبي عبيدة، وقد قتل خالد توذرا، وقال خالد :

نحن قتلنا توذرا وشوذرا   وقبله ما قد قتلنا حيدرا

نحن أزرنا الغيضة الأكيدرا

وقد ناهد أبو عبيدة بعد خروج خالد في أثر توذرا شنس، فاقتتلوا بمرج الروم، فقتلهم مقتلة عظيمة، وقتل أبو عبيدة شنس، وامتلأ المرج من قتلاهم، فأنتنت منهم الأرض، وهرب من هرب منهم فلم يفلتهم، وركبوا أكساءهم إلى حمص»(١١٦).

إن أهمية هذا النص الذي ذكره الطبري تتمثل في توضيح مسألتين أساسيتين، أولاهما: مقدار الرقعة الجغرافية التي وقعت فيها الاشتباكات العسكرية بين المسلمين والروم والتي يبدو أنها امتدت إلى أسوار حمص نفسها، وأخراهما: ذلك العدد الكبير من القتلى والأسرى في صفوف الجيش البيزنطي؛ إضافة إلى ما يمكن أن يحدث من دمار مادي في البنى التحتية على اختلافها نتيجة قيام الجيوش الإسلامية بفرض سيطرتها العسكرية المباشرة - أي عنوة - على هذه القرى والبلدات، وما يتمخض عنها من اشتباكات الحرب الطويلة والمتواصلة بين الطرفين، وربما كان ذلك هو ما عناه المؤرخون السريان السابق ذكرهم.

وفي السطور التالية يشير مؤلف «النبذة التاريخية» إلى أن جيش الفاتحين المسلمين اتخذ معسكرًا على أطراف دمشق(١١٧). وينسجم هذا النص مع ما ذكره الواقدي والبلاذري وغيرهما من أن المسلمين توجهوا إلى دمشق بعد انتصارهم في موقعة أجنادين، عبر الجولان، ولمّا وصلوا إليها ضربوا حولها حصارًا مُركّزًا، فعسكر خالد بن الوليد بجيشه تجاه «دير صليبا»، الذي عُرف فيما بعد بـ «دير خالد»، وقيل بالباب الشرقي، بينما عسكر أبو عُبيدة بن الجراح على «باب الجابية» في حين عسكر يزيد بن أبي سفيان على جانب آخر من دمشق(١١٨). ومع محاولات هرقل إنفاذ عدة حملات عسكرية لإنقاذ المدينة الإستراتيجية إلا أنها اضطرت بعد حصار دام قرابة ستة أشهر إلى الاستسلام وطلب الصلح(١١٩).

وفي السطور الأخيرة للنبذة التاريخية، ينتقل المؤرخ إلى بعض تفاصيل معركة اليرموك الشهيرة التي أسماها بـ «معركة الجابية». ولعل الملاحظ هنا أن ما ورد في «النبذة التاريخية» يقترب كثيرًا من الرواية الإسلامية لإرهاصات معركة اليرموك؛ حينما أشار إلى زحف جيوش بيزنطية كبيرة واحتشادها في بلدة الجابية سنة ٩٤٧ يوناني على حد تعبيره لمواجهة المسلمين في المعركة المفصلية المشهورة، وهو

بالحسبة الرياضية تاريخ يتفق تمامًا مع التاريخ الذي نصت عليه المصادر الإسلامية في رجب سنة ١٥هـ/ أغسطس ٦٣٦م. ولعل هذا كان السبب الذي جعل كاتب «النبذة التاريخية» المجهول يختار «الجابية» اسمًا للمعركة المشهورة. وفي نظر الباحث فإن هذه لا تُعدّ قضية كبيرة لعدة عوامل أهمها: القرب الجغرافي بين بلدتي الجابية واليرموك الذي لا يتجاوز ٥٠ كيلًا؛ إضافة إلى ذلك الدور المحوري الذي نصت عليه المصادر الإسلامية لبلدة الجابية، حيث كانت نقطة تجمع للجيش الإسلامي بقيادة أبي عبيدة عامر بن الجراح قبل أن يخليها وينسحب منها في أثناء استعدادات المسلمين للمعركة[١٢٠]. ولذلك كان من الطبيعي أن يزحف الجيش البيزنطي لاحتلال هذه البلدة ذات الموقع الإستراتيجي المهم. وثالث هذه العوامل يختص بأحداث معركة اليرموك نفسها، إذ يبدو أنها امتدت على رقعة جغرافية كبيرة تجاوزت حوض نهر اليرموك إلى المناطق الواقعة شمالًا منها تجاه دمشق حيث استمرت خيول المسلمين في مطاردة فلول الجيش البيزنطي تجاه دمشق، أي أنها مرت على الأرجح بالجابية الواقعة في الطريق بين اليرموك ودمشق[١٢١].

كل هذه المعطيات ربما دفعت كاتب النبذة المجهول لتفضيل بلدة الجابية اسمًا للمعركة الشهيرة. وأيًّا كان اختلاف الاسم فإن ذلك لا يغير من نتائج المعركة شيئًا، إذ يتفق كاتب النبذة التاريخية مع الرواية الإسلامية؛ ليس في الإشارة إلى هزيمة الجيش البيزنطي فحسب، بل تجاوز ذلك إلى وصف فداحة خسائر الجيش البيزنطي من القتلى التي كانت بعشرات الآلاف، غير أن الفارق بينهما كان في تقدير هذا العدد، فبينما يقدر صاحب «النبذة التاريخية» عدد قتلى جيش الروم بقرابة الـ ٥٠ ألف مقاتل[١٢٢]، يقدّر الواقدي خسائر الجيش البيزنطي بما يقرب من الـ ١٠٥ آلاف مقاتل[١٢٣]، وهو رقم مبالغ فيه بلا شك، وخاصة إذا ما علمنا أن مؤرخين مسلمين آخرين بالكاد يقدرون الجيش البيزنطي كله بـ ١٠٠ ألف مقاتل

أو يزيدون بقليل، فكيف يتجاوز عدد قتلاه المئة ألف؟! إضافة إلى ذلك فالمصادر الإسلامية تجمع على أن هناك فلولًا للجيش البيزنطي انسحبت من المعركة بعد أن أيقنت بالهزيمة، فالمنطق العددي يفترض أن العدد الإجمالي للجيش البيزنطي لا بد أن يتفرق على أسرى وفارين من أرض المعركة[١٢٤].

وفي سياق حديثه عن مقتل أخيه، يورد توما القس نصًا ثمينًا عن فتوحات «الجزيرة الفراتية» ومدينة ماردين تحديدًا، حيث يقول في معرض أحداث عام ٦٣٦م/ ١٥هـ: «في سنة ٩٤٧ يوناني، غزا العرب كل سوريا، كما اتجهوا إلى فارس فتمكنوا من فتحها. وتسلقوا جبل ماردين فقتلوا عددًا من رهبان (أديرة) «قيدار» و«بناتا»، وهناك مات شمعون ذلك الرجل المبارك، وحارس قيدار، شقيق توما القس»[١٢٥]. والواقع أن هذه الرواية تتلاقى مع ما ذكره الواقدي والبلاذري من أن فرقة من جيش المسلمين الذي كان يقوده عياض بن غنم تمكنت من فتح قلعة المدينة عنوة وقتل من بداخلها «... عن آخرهم، واحتووا – أي المسلمين – على القلعة وما فيها ...»[١٢٦]. وبالتالي فإن واقعة مقتل شمعون في أثناء اقتحام الجيش الإسلامي لماردين واردة بحسب رواية الواقدي هنا. لكن سؤالًا يطرح نفسه هنا وهو: كيف لجيوش الفتح الإسلامي أن تقتل رجال دين نصارى بينما كانت توجيهات الخليفة أبي بكر الصديق واضحة بعدم المساس برجال الدين والعباد فضلًا عن أماكن العبادة والترهب ؟

إن هذه الواقعة تعيد طرح السؤال السابق حول مدى التزام جيوش الفتح بسياسة الدولة الرسمية، وتؤكد ما سبق طرحه من أن جيوش الفتح الإسلامية قد ضمت أعدادًا كبيرة من المقاتلين حديثي العهد بالإسلام الذين تصعب السيطرة على تصرفاتهم في الحروب. وبالتالي فإن وقوع حادثة مقتل الرهبان أمر مرجح لهذا السبب، ويؤكد الافتراض السابق أن حركة الفتوحات الإسلامية لا بد أن تصاحبها

أخطاء، وتجاوزات في بعض الأحيان، لكنها في المجمل تبقى حوادث استثنائية لا تنسجم مع السياسة الرسمية التي حددها الخليفة أبو بكر الصديق لقادة جيوشه وسار عليها خلفاؤه من بعده.

إضافة إلى ما سبق، فإن ثمة قضية لا يمكن تجاوزها دون تناولها بالنقاش ألا وهي تأريخ توما القس بعام ٩٤٧ يوناني (٦٣٦م/ ١٥هـ) لحادثة فتح ماردين، وهذا بلا شك إشكال يخالف المرحلة الزمنية التي اتفق عليها معظم المؤرخين المسلمين بين عامي ١٧ و ١٩هـ[١٢٧]. إن القارئ لتاريخ توما القس سيلاحظ بوضوح اختلالاً كبيرًا في تسلسل ترتيب الأحداث مع ثبات المؤلف في استخدام التقويم اليوناني. على الرغم من أن المؤلف يبدأ تاريخه بسرد مجموعة من الحوادث التي وقعت في عصر السيد المسيح عليه السلام، إلا أنه سرعان ما ينتقل إلى القرن السابع الميلادي ليتحدث عن الحرب البيزنطية - الفارسية أيام هرقل. وفي مكان آخر من الحولية التاريخية يسرد المؤلف تواريخ غير مرتبة، فنجده تارة يروي سلسلة حوادث وقعت في عام ٩٤٣ يوناني/ ٦٣١-٦٣٢م، ثم يعود فجأة إلى أحداث عام ٦٧٣ يوناني/ ٣٦١-٣٦٢م، ثم ينتقل فجأة إلى عام ٧٤٦ يوناني/ ٤٣٤-٤٣٥م[١٢٨]. إن تفسير هذا الخلط لا يخرج عن أمرين رئيسين، أولهما: يتمثل في إمكانية أن يكون هذا الاختلال من صنع النساخ؛ خاصة وأن زمن تدوين هذا التاريخ قديم للغاية، وبالتالي سيتلقفه كثير من النسّاخ عبر الزمن ويطاله ما يطال غيره من الكتب من تصحيف وتحريف وغيرها من أخطاء النسخ. علاوة على ذلك فإن إمكانية الخلط بين تاريخ معركتي أجنادين واليرموك وارد جدًا، خاصة أن الأخيرة وقعت بإجماع معظم المؤرخين المسلمين عام ١٥هـ[١٢٩]. وبالتالي فإن القبول بالتاريخ الذي وضعه توما القس لا يستقيم وتسلسل السياق التاريخي لفتح بلاد الشام الذي بدأ عام ١٢هـ وأفضى بطبيعته السياسية والجغرافية والعسكرية إلى فتح الجزيرة الفراتية ابتداءً بعام ١٨هـ.

- **فتوحات العراق وفارس:**

تبدأ قصة الفتوحات الإسلامية في العراق وفارس بإشارات موجزة لتوما القس(١٣٠)، ويوحنا ابن الفنكي(١٣١)، غير أن أهم تفاصيل هذا الموضوع نجدها عند مؤلف «التاريخ الصغير». إذ يبتدئ هذا المؤلف حديثه عن الفتح الإسلامي للعراق في معرض سرده للأوضاع الداخلية التي عاشتها الدولة الساسانية في أعقاب مقتل كسرى الثاني، ودخول البيت الحاكم في صراع السلطة(١٣٢). ويشير إلى بدايات الفتح العربي الإسلامي لبلاد الرافدين بقوله: «أخرج اللّٰه على الفرس بني إسماعيل الذين كانوا أشبه برمال الشاطئ، وكان يدبر أمورهم زعيمهم محمد (ﷺ)(١٣٣)، فلم تصدهم أسوار ولا أبواب، ولا سلاح أو دروع»(١٣٤).

ويبدو واضحًا أن المؤلف هنا يحاول أن يصوّر حجم الجيوش الإسلامية التي دخلت لفتح العراق، وهو ما يتضمن بعض التناقضات مع الرواية الإسلامية التقليدية التي تعمد إلى تقليل أعداد جيوش الفتح الإسلامية أمام الجيوش الفارسية الجرارة كما في معركة القادسية، وهو ما سيكون محل نقاش في حينه. لكن توصيف مؤلف «التاريخ الصغير» ينم عن أعداد كبيرة للجيش العربي الإسلامي دخلت العراق مبكرًا في السنة الـ ١١هـ، أي قبل المعركة الشهيرة بقرابة أربع سنوات. ولعل المؤرخ عنى بذلك الحملات العسكرية المبكرة التي قادها خالد بن الوليد(١٣٥)، والمثنى بن حارثة(١٣٦)، وعياض بن غنم(١٣٧)، والتي بدأت تتوغل في المنطقة الممتدة من «الأُبلّة» وغرب نهر الفرات حتى بلدة «المصيّخ» على حدود الشام مما يلي العراق(١٣٨). على أن هذه الحملات تبعتها إمدادات عسكرية أخرى قادها القعقاع بن عمرو التميمي(١٣٩)، وعبد بن غوث الحميري(١٤٠)، ثم انضوى جميع هؤلاء القادة بحملاتهم تحت القيادة العامة لخالد بن الوليد الذي حقق انتصارًا مهمًا في معركة «كاظمة» - أو ذات السلاسل - في المحرم سنة ١٢هـ(١٤١)، تبعها بانتصارات أخرى في «المذار»،

و«الولجة» و«أُليس» ففتحت لهم المجال لفتح كبريات حواضر العراق الواقعة غرب نهر الفرات مثل الحيرة، و«أمغيشيا»، و«الأنبار»، و«عين التمر»[١٤٢]. ولم تأت نهاية ذلك العام إلا وقد استطاع خالد بن الوليد قيادة الجيش الإسلامي لفرض سيطرته على بقية سواد العراق حتى بلدات المصيّخ، و«الثني»، و«الفراض»، قبل أن يَهزِم الفرس وحلفاءهم من قبائل العرب في معركة الفراض في ذي القعدة عام ١٢هـ، وهي آخر أعماله العسكرية قبل أن يوجهه الخليفة أبو بكر إلى الشام[١٤٣]. كل هذه التفاصيل عمّا حققه المسلمون من انتصارات عسكرية متلاحقة على جيوش الفرس تكفي لإثبات مصداقية التوصيف الذي شبه به صاحب «التاريخ الصغير» انتصارات المسلمين في سواد العراق، إذ لم تستطع جيوش الفرس الجرارة ولا أسلحتهم المتفوقة على مثيلاتها عند العرب ولا مدن السواد المحصنة الوقوف في وجه الفاتحين العرب.

ثم يواصل المؤلف رصده لبعض الحوادث المتلاحقة مثل معركة القادسية وفتح المدائن قائلًا: «فأرسل يزدجرد (الثالث)[١٤٤] قوات لا حصر لها للتصدي لهم فقضى عليهم العرب كليًا، وقتلوا رستم نفسه[١٤٥]. أما يزدجرد فقد تحصن هو نفسه داخل أسوار ماحوزا[١٤٦]، غير أنه في النهاية اضطر للفرار إلى بلاد الهوزيين والمازويين[١٤٧]، وهناك قضى نحبه»[١٤٨].

إن السياق التاريخي العام الذي أورده مؤلف «التاريخ الصغير» لا يختلف كثيرًا عن السياق العام للرواية الإسلامية في فتح بلاد العراق، فمع أن المؤلف لم يسرد تفاصيل الوضع العسكري قبل معركة القادسية ولا حتى أشار إليها عند ذكره مقتل رستم، إلا أن ثمة حقائق بعضها تجاهلها هذا المؤلف وبعضها الآخر أوردها، وكلها يجدر بالباحث مناقشتها هنا. ففي البداية نلحظ أن المؤلف تجاهل الحديث عن معركة الجسر التي أصيب فيها جيش المسلمين بانتكاسة عسكرية واستشهد فيها قائد الجيش نفسه أبو عبيدة الثقفي في شعبان سنة ١٣هـ، ما عطل مؤقتًا حركة

الفتح الإسلامي في العراق[١٤٩]. والأرجح أن حادثة مثل هذه لم تغب عن المؤلف المجهول وهو القريب جغرافيًّا وزمنيًّا من أرض الحدث، فربما نظر إلى معركة الجسر على أنها لم تكن إلا حلقة في سلسلة الصراع العسكري. أضف إلى ذلك أن منهجه في الكتابة التاريخية الذي يميل إلى الإيجاز ربما جعله يتجاوز معركة الجسر وكذلك البويب إلى ذكر معركة القادسية – وإن لم يسمها –؛ نظرًا لما ترتب عليها من نتائج مصيرية، أهمها بلا شك تحديد مصير الدولة الساسانية نفسها.

وما سبق يجر الحديث إلى الحقيقة الثانية وتتمثل في أن توصيف صاحب «التاريخ الصغير» حجم الجيش الفارسي بـ «قوات لا حصر لها» ينبئ عن حشد أعداد هائلة من مقاتلي الجيش الإمبراطوري الساساني لموقعة القادسية المفصلية. وإذا كانت الرواية الإسلامية تميل إلى تقليل عدد الجيش الإسلامي فإنها تتفق بشكل غير مباشر مع ما يورده المؤرخ السرياني هنا من ضخامة الجيش الفارسي وإن اختلفت في تحديد العدد الإجمالي للمقاتلين[١٥٠].

أما ثالثة تلك الحقائق فهي الإشارة الصريحة والمباشرة إلى مقتل القائد الفارسي الشهير «رستم» في هذه المعركة المفصلية، وسقوط المدائن عاصمة الدولة الساسانية، ثم فرار الملك يزدجرد الثالث ومقتله لاحقًا[١٥١]. وتبرز الحقيقة هنا في تطابق ما ذكره مؤلف «التاريخ الصغير» مع السياق التاريخي الذي تقدمه الرواية الإسلامية في هذا الصراع. وليس ذلك فحسب، بل إن في اكتفاء المؤرخ بالإشارة إلى مقتل القائد رستم دلالته الخاصة، فقد كان الرجل القوي الذي راهنت عليه الدولة الفارسية للتصدي لخطر العرب الداهم، ولذلك فإن مقتله كان بلا شك عاملًا مؤثرًا في تحديد مستقبل الصراع بسبب فقدان الطرف الفارسي قائدًا بقيمته. أما عن مسألة هروب الملك يزدجرد من العاصمة المدائن؛ ففضلًا عن تأكيده مصداقية الرواية الإسلامية، فإنه يحمل دلالة سياسية وتاريخية حاسمة تمثلت ببداية الانهيار الفعلي للدولة الساسانية.

ولم يفت المؤلف في مناسبة حديثه عن الجاثليق إيشوعياب الثاني[١٥٢] الإشارة إلى تأسيس مدينة الكوفة قائلًا: «... عندما رأى الجاثليق إيشوعياب الثاني أن العرب قد دمروا ماحوزا ونقلوا أبوابها إلى «عاقولاء» (الكوفة)، وأخذ الجوع يفتك بمن بقي فيها من السكان، ذهب فحلّ في بيت كرماي ...)[١٥٣]. ويبدو واضحًا أن المؤلف تعمّد وضع هذا الخبر بعد الإشارة لفتح المدائن وقبل استعراض السياق التاريخي لاتجاه المسلمين إلى بلاد فارس، وهو ما يندرج ضمن التسلسل الزمني المنطقي لحوادث الفتح الإسلامي للعراق؛ فالمصادر الإسلامية تتفق على أن تأسيس الكوفة كان بعد فتح المدائن ببضعة أشهر[١٥٤]، بل إن سبب ذلك عدم مناسبة بيئتها الجغرافية للمسلمين الذين شكوا حالهم للخليفة عمر بن الخطاب فأمر سعد بن أبي وقاص أن يختط مكانًا ذا بيئة تناسب الطبيعة الصحراوية للعرب، فنزل سعد في موقع الكوفة الحالي بين الحيرة ونهر الفرات مطلع عام ١٧هـ»[١٥٥].

ومع أن النص الذي رواه صاحب «التاريخ الصغير» يحمل تباينًا واضحًا مع الرواية الإسلامية في قصة بناء الكوفة؛ إذ يشير إلى أن العرب قاموا بنقل أبواب مدينة المدائن إلى الكوفة، وهو مالم يرد في روايات المؤرخين المسلمين الذين اكتفوا بخبر تأسيس المدينة[١٥٦]، باستثناء الطبري الذي ذكر بالتفصيل أن المسلمين نزلوها بالخيام ثم استعملوا القصب والقش في بناء بيوتهم، ولكن حريقًا كبيرًا أتى على معظم هذه البيوت «فبعث سعد إلى عمر منهم نفرًا يستأذنونه في البناء باللبن ويخبرونه عن الحريق، فأذن لهم وقال: ولا يزيدنّ أحدكم على ثلاثة أبيات ولا تطاولوا في البنيان، والزموا السنّة تلزمكم الدولة»[١٥٧]. والواقع أن رواية الطبري تنسجم مع الواقع الاجتماعي للعرب الذين اعتادوا على البساطة في أدوات البنيان المعتمدة على ما توفره البيئة المحلية من لَبِن، وخشب، ونحوه. بل إن خبرة العرب في البناء تكاد تكون متواضعة إذ لا يمكن لقوم اعتاد معظمهم السكن في الخيام أو حتى بيوت الطين التفكير في هذا النوع من البناء المتقدم وقتها.

كما أن زعم صاحب «التاريخ الصغير» أن العرب قد قاموا بتدمير المدائن تظل مسألة محل إشكال، وربما حملت الكثير من المبالغة لسببين رئيسين، فأول هذه الأسباب: أن المسلمين أنفسهم أقاموا فيها بضعة أشهر قبل انتقالهم إلى الكوفة، وفي هذا يقول الطبري: «لَمَّا نَزَلَ سَعْدٌ الْمَدَائِنَ، وَقَسَّمَ الْمَنَازِلَ، بَعَثَ إِلَى الْعِيَالاتِ، فَأَنْزَلَهُمُ الدُّورَ وَفِيهَا الْمَرَافِقُ، فَأَقَامُوا بِالْمَدَائِنِ حَتَّى فَرَغُوا مِنْ جَلُولاءَ وَتِكْرِيتَ وَالْمَوْصِلِ»(١٥٨).

وبناءً على ذلك، كيف يقوم المسلمون بتدمير مدينة سكنوا دورها بضعة أشهر بعد فتحها؟ بل ظلت قائمة تعج بالحياة ولها والٍ يحكمها من قبل الخليفة في أوقات لاحقة(١٥٩)؛ إضافة إلى ذلك فالثابت في الروايتين الإسلامية والسريانية أن الفرس انسحبوا من المدينة قبل أن يصلها المسلمون، وهو ما يعني استبعاد الحاجة إلى حصار المدينة وضرب أسوارها وتحصيناتها. بل إن الطبري يقدم رواية حوت تفاصيل أكثر لحادثة وقعت في المحيط الجغرافي للمدائن، إذ يذكر أن جيش المسلمين بقيادة سعد بن أبي وقاص حاصر مدينة «بهرسير»(١٦٠) المجاورة للمدائن من ناحية الغرب قرابة شهرين استعمل خلالهما المنجنيق لأول مرة حتى اقتحمها المسلمون أخيرًا، وانسحبت منها فلول الفرس التي قامت بتدمير الجسور التي تصلها بالمدائن على الضفة الشرقية لنهر دجلة(١٦١). ورواية الطبري هذه تعني أن الدمار قد وقع في مدينة بهرسير وهي بوابة المدائن لا المدائن نفسها.

وهذه الرواية تقود النقاش إلى ثاني هذه الأسباب التي يطرحها الباحث وهو ما يتعلق بما حدث داخل أسوار المدائن عشية دخول المسلمين إليها، ودخول قائد الجيش سعد بن أبي وقاص إيوان كسرى، وهو ما خصص له الطبري بابين تضمنا كثيرًا من تفاصيل ما جرى بعنوان: «ذكر ما جمع من فيء أهل المدائن»(١٦٢)، و«ذكر صفة قسم الفيء الذي أصيب بالمدائن»(١٦٣). فقد ذكر أن سعدًا اتخذ من القصر الأبيض – أحد الأجزاء الرئيسة بإيوان كسرى – مسجدًا ولم يقم بإزالة التماثيل والرسومات، ثم أمر بجمع أموال المدينة وكنوزها الثمينة مثل أواني الذهب والفضة،

والحلي الثمينة، والثياب المطرزة، وجواهر الياقوت والزمرد، ومختلف أنواع الأسلحة، ودنانير الذهب، ودراهم الفضة، وقطع أثاث القصور الفخمة[١٦٤]. ثم قام بتوزيعها على كل من حضر الفتح الإسلامي من جنود وفرسان وغيرهم وإرسال بقية الخمس إلى المدينة لينظر الخليفة في أمرها[١٦٥].

وتكمن أهمية هذه التفاصيل في أنها تساعد على فهم الإشكال الذي أورده صاحب «التاريخ الصغير» خاصة، فالدمار إذن قد يكون لحق بالمناطق المتضررة من الحرب والقريبة من المدائن وأولها مدينة بهرسير التي كانت تعتبر بمثابة الضفة الغربية لمدينة المدائن وبوابتها من جهة الصحراء. وهذا لا ينفي أن العرب المسلمين قد استولوا على مدينة المدائن بكامل قصورها وكنوزها ومبانيها، ونقلوا كثيرًا من تلك الكنوز إلى المدينة كغنائم حرب[١٦٦]. فلا يستبعد إذن استفادتهم من بعض هذا «الفيء» في بناء بيوتهم الجديدة، وخاصة قطع الأثاث الفخمة، وربما كان ذلك جزءًا مما عناه مؤلف «التاريخ الصغير». وهنا يتضح بشكل كبير ذلك الإشكال بين ما زعمه هذا المؤرخ وما ورد في الرواية الإسلامية التقليدية.

وفي الصفحات التالية لكتابه، استعرض مؤلف «التاريخ الصغير» سلسلة حوادث متلاحقة من قصة الفتح العربي الإسلامي لبلاد العراق وبلاد فارس قائلًا: «... عندما أخضع العرب بلاد الروم كلها لسيطرتهم عليها، تقدموا حتى بلغوا أرض الهوزيين فأسقطوا المدن المحصنة كلها لسيطرتهم الواحدة بعد الأخرى: بيت لاباط، وكرخا ليدان، وقصر شوشان، وبقيت المدن المعززة للغاية[١٦٧]، وهي شوشن[١٦٨]، وشوشتري[١٦٩]. إذ لم يبق بين الفرس من يقاوم العرب إلا يزدجرد وأحد قواده واسمه هرمزان المادي[١٧٠]... عندئذ تقدم أحد قادة العرب على هرمزان المادي، وكان اسمه أبو موسى[١٧١]، وهو الذي شيد البصرة لسكنى العرب ...»[١٧٢].

ويبدو واضحًا أن هذا السياق الذي يقدمه المؤرخ السرياني المجهول لا يحمل في طياته ذلك الاختلاف الكبير عن الرواية الإسلامية الرئيسة التي قدمها مؤرخون

مسلمون فصّلوا في فتوحات العراق وفارس مثل الطبري، وابن خياط، واليعقوبي، وغيرهم عن فتح العراق الأعجمي وبلاد الأحواز؛ سوى بعض الاختلافات البسيطة المنحصرة في المصطلحات الجغرافية، أو في أسماء الشخصيات الفاعلة على مسرح الحوادث. وهو ما يتبين في السردية التي قدمها المؤرخ السرياني عن أبي موسى الأشعري والهرمزان القائد الفارسي الأبرز الذي ظل يقاتل حتى وقوعه في الأسر لاحقًا. فقد كانا أبرز شخصيتين في هذه المرحلة بالذات، إذ قرر الخليفة عمر بن الخطاب تعيين أبي موسى الأشعري واليًا على البصرة ابتداء من ربيع الأول ١٧هـ/ إبريل ٦٣٨م خلفًا لعتبة بن غزوان، فاختط البصرة من جديد وبنى منازلها باللبن والطين، ووسع مسجدها الجامع، كما قام بتجديد دار الإمارة[١٧٣]. وهذا ما جعل صاحب «التاريخ الصغير» يُعدّه المؤسس الحقيقي لمدينة البصرة، مع أن عتبة بن غزوان سبقه في اختطاط المدينة[١٧٤]. بل إن صاحب «التاريخ الصغير» يتفق مع ما رواه البلاذري وابن خياط حول قيادة أبي موسى الأشعري للحملة العسكرية التي استطاعت فتح مدينة تستر عام ١٧هـ.

إلا أن ثمة اختلافًا يرد في السردية التي قدمها صاحب «التاريخ الصغير» لفتح مدينتي تستر والسوس. فقد وصف الهرمزان بمحاولة خداع المسلمين والحصول على هدنة مقابل دفع الجزية وهو ما حصل عليه، لكنه بعد سنتين خرق الهدنة وقتل الرسل الذين أرسلهم أبو موسى لجمع الجزية، وحشد جيشًا ضخمًا لمقاتلة العرب[١٧٥]. أما الرواية الإسلامية فلم تشر مصادرها التاريخية إلى مقتل الرسل، لكنها أجمعت على أن الخليفة عمر بن الخطاب قد توصل إلى قناعة كاملة بأن الخطر الفارسي لن يزول إلا بالقضاء على قوتهم السياسية والعسكرية التي لا تزال متحصنة داخل الهضبة الإيرانية وتتربص بالمسلمين[١٧٦]، لذلك كتب إلى سعد بن أبي وقاص في الكوفة، وأبي موسى الأشعري في البصرة، يأمرهما بإرسال قوتين عسكريتين من جند الكوفة والبصرة تحت قيادة النعمان بن مقرن المزني،

فتوجهت هذه القوة إلى الأحواز وأنزلت الهزيمة بالجيش الفارسي الذي يقوده الهرمزان الذي انسحب إلى تستر، فأتم النعمان فتح الأحواز. ثم اتجه بعد ذلك إلى تستر فحاصرها عدة أشهر قبل أن يلحق به أبو موسى الأشعري ويتولى القيادة العامة للجيش الإسلامي الذي فتح تستر بعد حصار استمر سنتين كما ذكر صاحب «التاريخ الصغير»[١٧٧].

والواقع أن الروايتين تحملان تشابهًا لافتًا في الكيفية التي استطاع بها المسلمون فتح تستر، وتتمثل في أن بعض السكان المحليين أخذوا من قائد المسلمين أبي موسى الأشعري الأمان مقابل أن يدلّوا المسلمين على منافذ يدخلون من خلالها إلى المدينة[١٧٨]، وبالفعل استطاعوا الدخول من هذه المنافذ وفتح بعض بوابات مدينة تستر للجيش الإسلامي الذي اقتحمها عنوة وهزم الهرمزان الذي اضطر للاستسلام[١٧٩].

إلا أن ثمة تفاصيل مثيرة حول اقتحام تستر تُقدم بشكل مختلف عن الروايتين الإسلامية والسريانية، فقد زعم صاحب التاريخ الصغير أن الفاتحين العرب سفكوا دماء أهل المدينة دون تمييز في قوله: «وسفكوا من الدماء مثل الماء، وقتلوا أردشير أسقف هرمز مع عدد من طلابه، والأساقفة، والشمامسة الذين سفكت دماؤهم المحرمة»[١٨٠]. ويتفق البلاذري مع صاحب «التاريخ الصغير» في أن أبا موسى الأشعري أمر بـ: «قتل من كان في القلعة ممن لا أمان له»[١٨١]. إلا أن الطبري يستدرك أن الرجلين اللذين دلا المسلمين على منافذ تستر جاءا إلى قادة الجيش الإسلامي قائلين: «من لنا بالأمان الذي طلبنا علينا وعلى من مال معنا؟ قالوا: ومن مال معكم؟ قالا: من أغلق بابه عليه مدخلكم؛ فأجازوا ذلك لهم»[١٨٢].

وتجمع الروايات الثلاث السابقة أن مقتلة كبيرة وقعت عند اقتحام المسلمين مدينة تستر، حتى وإن نجا من هذه المقتلة من اعتزل القتال خاصة المدنيين. ومع

أنه لم يرد في كتابات المؤرخين المسلمين ما يشير إلى قتل رجال الدين، فإنه يبدو أن أوامر أبي موسى الأشعري كانت واضحة بقتل كل من لم يعُط الأمان بغض النظر عن هويته الدينية أو العرقية.

- **سياسة الفاتحين في البلاد المفتوحة:**

إذا كانت المصادر السريانية المعاصرة لمرحلة الفتوحات قد تحدثت عن خسائر بشرية ومادية جسيمة؛ كنتائج مباشرة للصدامات العسكرية بين المسلمين وأعدائهم سواء أكانوا من الروم أم من الفرس، فإن بعضها لا يخلو من معلومات في غاية الأهمية عن سياسة المسلمين في البلاد المفتوحة في مرحلة ما بعد الفتوحات.

وقبل الشروع في هذا الجانب، فإنه من المهم مناقشة مسألة غاية في الأهمية ألا وهي إهمال معظم المؤرخين السريان من المعاصرين لهذه الحقبة مثل يعقوب الرهاوي، وتوما القس، أو صاحب «التاريخ الصغير» وصف أوضاع البلاد المفتوحة في مرحلة ما بعد الفتوحات. وبمعنى آخر: لماذا صمتوا واكتفوا بوصف مشاهد القتل والدمار في أثناء المعارك الضارية بين المسلمين والفرس أو المسلمين والروم؟ فإن الرد على ذلك بالقول: إن حولياتهم لم تتضمن توثيق حوادث شنيعة كتلك التي فعلتها جيوش الفرس حينما غزت بلاد الشام والجزيرة ومصر. ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر سبي سكان المدن، مثل تلك التي قامت بها جيوش كسرى الأول عام ٥٦١م حينما اقتادت سكان أنطاكية إلى مدينة بُنيت خصيصًا للأسرى باسم «أنطاكية الكسروية»(١٨٣)، أو حينما قام كسرى الثاني بسبي سكان مدينة الرها عام ٦٢٨م عندما اجتاحت جيوشه بلاد الجزيرة والشام(١٨٤). بل إن المصادر السريانية تسجل كثيرًا من حوادث اضطهاد الطوائف النصرانية المخالفة لمذهب الدولة البيزنطية الرسمي، والتي شملت حوادث قتل، ونفي، وتدخل في تعيينات المناصب الكنسية(١٨٥). بل إن حوادث الاضطهاد تلك وصلت إلى محاولة فرض عقيدة موحدة

في طبيعة السيد المسيح عليه السلام؛ دون اعتبار لمذهب طوائف نصرانية ربما مثلت أغلب سكان أقاليمها كما في حالتي اليعاقبة والنساطرة في المشرق(١٨٦).

غير أن هذه الحالة تغيرت جذريًا في العصر الإسلامي بشهادة المصادر السريانية نفسها. ولعل أول نص تحدث عن سياسة العرب الفاتحين تجاه الأقليات الدينية في العراق تلك التي سجلتها بعض رسائل رجل الدين النسطوري «إيشوعياب الثالث» الذي عاصر وقائع الفتح الإسلامي للعراق. ففي رسالته إلى «شمعون مطران ريو أردشير» سجل الجدالي شهادة معاصرة حول معاملة الفاتحين المسلمين للطوائف النصرانية في بلاده قائلًا: «... أما العرب الذين مكنهم الله من السيطرة على العالم، فإنهم يعاملوننا جيدًا كما تعلمون، فهم لا يعارضون النصرانية فحسب، بل يمتدحون ديننا، ويجلّون القساوسة والقديسين، ويمدون يد المساعدة للكنائس والأديرة ...»(١٨٧).

يعكس هذا النص التاريخي بالغ الأهمية إحدى وجهات نظر «المغلوبين» تجاه التسامح الذي أبداه الفاتحون المسلمون تجاه النصارى النساطرة في بلاد الرافدين، الذين يدين معظمهم بالولاء للجاثليق إيشوعياب الحديابي - أو الثالث - كاتب الرسالة السابقة. ومع اعترافه أن هذا النص التاريخي يعكس مدى العلاقة «الدافئة» بين المسلمين والطائفة النسطورية، إلا أن روبرت هويلند يرى في هذه الرسالة تنافسًا بين أتباع الكنيستين النسطورية والمنوفيزتية (اليعقوبية) للفوز برضا السلطة الإسلامية(١٨٨).

هذا الزعم يمكن الرد عليه بنص تاريخي آخر لـ «يوحنا ابن الفنكي» وهو مؤرخ سرياني نصراني عاش في سوريا في النصف الثاني من القرن ١هـ/ ٧م. فقد وصف سياسة الدولة الأموية تجاه الأقليات النصرانية خاصة في عهد أول خلفائها معاوية ابن أبي سفيان قائلًا: «... تولى الحكم رجل يقال له معاوية - بن أبي سفيان -

فحكم مملكتي الفرس والبيزنطيين، وازدهرت في عصره العدالة والسلام في كل البلاد التي يحكمها، لقد سمح للجميع بأن يعيشوا كما يريدون ...»[١٨٩].

يقدم هذا النص التاريخي دليلًا واضحًا على أن سياسة الدولة الإسلامية تجاه المكوّن النصراني سواء أكان في الشام أم في بلاد الرافدين تكاد تكون ثابتة وغير معترفة بالاختلافات المذهبية كما ألمح هويلند. إذ من المعروف تاريخيًّا أن معظم النصارى السريان في بلاد الشام يدينون بالولاء للكنيسة المنوفيزتية على عكس نصارى بلاد الرافدين الذين يوالي معظمهم الكنيسة النسطورية؛ إضافة إلى ما سبق فإن كلا النصين السابقين يؤكد مصداقية السياق التاريخي العام للمصادر الإسلامية حول السياسات التي اتبعتها السلطة الإسلامية في العصرين الراشدي والأموي تجاه الطوائف الدينية النصرانية في العراق والشام.

*** الخاتمة :**

ركّزت هذه الدراسة على دراسة البدايات الأولى لظهور الإسلام كما صوّرتها الكتابات السريانية خلال القرن ١هـ/ ٧م، ومقارنتها بما دوّنته المصادر الإسلامية عن هذه الحقبة. وكان واضحًا أن المصادر السريانية سلطت الضوء في هذه الحقبة تحديدًا على قضايا رئيسة مثل أوضاع جزيرة العرب، وأصول العرب القادمين منها، وحركة الفتوحات الإسلامية في الشام والعراق. وقد اتسمت معلومات المؤرخين السريان عن الأحوال الداخلية في جزيرة العرب بالقِلّة والغموض والاضطراب في جوانب عدة، إذ لم يتفقوا على اسم موحد للعرب قاطني الجزيرة العربية، بل أطلقوا عليهم عدة أسماء مثل بني طيئ، السراسنة، وبني هاجر، وبني إسماعيل وهي تسميات لها دلالتها التي سبق شرحها في متن الدراسة. أما عن الأحوال الدينية في جزيرة العرب خلال هذه الحقبة فالواضح أن ما يملكه المؤرخون السريان شحيح للغاية، باستثناء مؤلف «التاريخ الصغير» الذي قدم في تاريخه رواية عن قصة بناء

الكعبة المشرفة تتفق كثيرًا مع السياق التاريخي في القرآن الكريم، والسنة النبوية، وموارد التراث الإسلامي؛ إضافة إلى ما ورد في العهد القديم؛ بالإضافة إلى ذلك فإن ما قدمه من سياق تاريخي، وديني، وجغرافي عن مكة المكرمة لا يتفق مع نظرية «كرون» التي تزعم عدم ورود ذكر لـ «مكة» في المصادر السريانية.

أما في موضوع الفتوحات الإسلامية، فقد أبدت المصادر السريانية اهتمامًا أكبر بسرد كثير من تفاصيلها، وهو ما يتضح من المعلومات المثيرة والمهمة التي قدمتها «النبذة التاريخية»، و«تاريخ توما القس»، و«التاريخ الصغير» عن فتوحات بلاد الشام، فقد تحدثت هذه التواريخ بوضوح عن معركتي أجنادين، واليرموك، وفتوح مدن شامية كبرى مثل حمص، ودمشق، وماردين، وغيرها. واللافت في ذلك إجمالًا أن هذه المصادر السريانية تظهر تطابقًا واضحًا مع الرواية الإسلامية في السياق التاريخي العام لمسيرة الفتح الإسلامي لبلاد الشام، كالاعتراف بالانتصار الساحق للمسلمين في المعركتين الشهيرتين، وفتح مدينتي دمشق وحمص صلحًا لا عنوةً، وهو ما وصفته المصادر السريانية من وجهة نظرها بـ «الاستسلام».

والحال نفسه ينطبق على قصة الفتوحات الإسلامية للعراق وفارس، فقد قدّم مؤلف «التاريخ الصغير» تفاصيل كثيرة تتطابق في معظمها مع السياق العام للرواية الإسلامية؛ وإن تضمنت بعض التناقضات في التفاصيل كما هو الحال في تقدير أعداد الجيوش الإسلامية التي شاركت في الفتوحات؛ إلا أن هذه التطابقات تبرز في الإشارات الواضحة إلى أسماء قادة الفتح الإسلامي للعراق وفارس مثل خالد بن الوليد، وسعد بن أبي وقاص، وأبي موسى الأشعري. وتتبين أيضًا في السردية التي قدمها عن نتائج معركة القادسية، وفتح مدن: المدائن، وتستر، والسوس، وتأسيس مدينة الكوفة.

غير أنه تنبغي الإشارة هنا إلى ما تضمنته بعض النصوص السريانية من مزاعم صريحة بأن الجيش الإسلامي ارتكب أعمال تدمير وتخريب في البلاد المفتوحة

مثل ريف حمص، أو فلسطين، أو المدائن عاصمة الدولة الساسانية؛ إلا أن ما اتسمت به تلك المزاعم من لغة عمومية وافتقار للتفاصيل الكافية يجعل مصداقيتها محل شك وضعف.

وفيما يتعلق بسياسة الفاتحين المسلمين في البلاد المفتوحة، فعلى الرغم من شح ما تقدّمه المصادر السريانية من معلومات في هذا الجانب، فقد تناولت الدراسة نصين تاريخيين سريانيين تحدثا بوضوح عن سياسة إسلامية متسامحة مع الطوائف النصرانية سواء أكان في بلاد الشام أم في الرافدين، وهو ما يؤكد مصداقية ما ترويه مصادر التراث الإسلامي حول السياسة التي اتبعتها دولة الخلافة الراشدة أو الدولة الأموية تجاه الأقليات الدينية في ذلك العصر.



الهوامش والإحالات والمصادر والمراجع

(*) أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد بجامعة نجران.

- **أتقدّم بخالص الشكر والتقدير إلى سعادة أ.د. عبدالهادي بن ناصر العجمي، ود. فيصل بن عادل الوزّان على تفضّلهما بقراءة مسودّة هذا البحث قبل تقديمه للنشر، وإفادتي بعدد من الملحوظات القيمة.**

(١) شيخو، لويس شيخو اليسوعي. النّصْرَانيّة وَآدَابُهَا بَيْن عَرَب الجاهِليّة، (بيروت، دار المشرق، ١٩٨٦م، ط٢)، ج١، ص٤٣، ٥٨، ٥٩، ٦٧، ٧٤، ١٤٢، ٤٤٤. علي، جواد. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (بغداد، جامعة بغداد، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ط٢) ج١، ص٦١-٦٥.

(٢) مثل كتاب «الهاجرية» لباتريشا كرون (Patricia Crone) ومايكل كوك (Michael Cook) وكتاب «ولتر كيغي» (Walter Kaegi) عن «بيزنطة والفتوحات الإسلامية المبكرة»، وأطروحة روبرت هويلند (Robert G. Hoyland) عن «الإسلام كما رآه الآخرون»، وألفريد لويس دي بريمار (Pré-mare Alfred-Louis de) في كتابه عن «تأسيس الإسلام بين الكتابة والتاريخ»، ومايكل فيليب ابن (Michael Philip Penn) في كتابيه عن «صورة الإسلام المبكر عند النصارى السريان»، و«عندما التقى النصارى بالمسلمين لأول مرة». انظر :

- Crone, Patricia, and Cook, Michael Allan, Hagarism: The Making of the Islamic World, Cambridge, (Cambridge University Press, 1976), pp. 3-148. Kaegi, Walter Emil, Byzantium and the Early Islamic conquests, (Cambridge University Press, 1995), pp. 1-234. Hoyland, Robert G, Seeing Islam as Others Saw It: a survey and evaluation of Christian, Jewish, and Zoroastrian writings on early Islam, (Princeton, N.J., Darwin Press 1997). pp. 116-215. Prémare, Alfred-Louis de, Les fondations de l'islam entre écriture et histoire, (Paris: Éd. du Seuil, 2009), pp. 13-380. Penn, Michael Philip, Envisioning Islam: Syriac Christians and the Early Muslim World, (University of Pennsylvania Press, 2015), pp. 1-186. Penn, Michael Philip, When Christians first met Muslims: a sourcebook of the earliest Syriac writings on Islam. University of California Press, 2015, pp. 1-215.

(٣) بلال، محمد مجيد. الإسلام المبكر في التواريخ السريانية: دراسة مقارنة بين تاريخ الطبري وتاريخ ميخائيل الكبير، (بيروت، دار الرافدين للطباعة والنشر، ٢٠١٥م)، ص٧٣-١٩٣.

(٤) يُستثنى من ذلك ما قدمه روبرت هويلند وهيو كيندي من دراسات متخصصة في قضايا تاريخية تنتمي إلى هذه الحقبة المبكرة من تاريخ الإسلام حينما كتبا عن حركة الفتوحات الإسلامية ودورها في تشكيل العالم الإسلامي. انظر :

- Kennedy, Hugh, The Great Arab Conquests: How the Spread of Islam Changed the World We Live In, (USA, Da Capo Press, 2007), pp. 1-376. Hoyland, Robert, In God's Path: The Arab Conquests and the Creation of an Islamic Empire, (Oxford University Press, Oxford, 2015), pp. 1-230.

(٥) كاهن، كلود. الإسلام منذ نشوئه حتى ظهور الدولة العثمانية، ترجمة: حسين قبيسي، (بيروت، المنظمة العربية للترجمة، ٢٠١٠م) ص٢٣، ص٣٣.

(**6**) Crone and Cook, Hagarism, p 3.

(7) Wansbrough, John, The Sectarian Milieu: Content and Composition of Islamic Salvation History, (Oxford University Press, Oxford, 1978), pp. 98-129.

(**8**) Nevo, Yehuda D, and Judith Koren. Crossroads to Islam: The Origins of the Arab Religion and the Arab State, (Amherst, NY: Prometheus Books, 2003), pp. 1-354.

(**9**) Hoyland, Seeing Islam, pp. 57, 304, 309, 329, 333, 413, 545, 550.

- See also: https://www.islamic-awareness.org/history/islam/inscriptions/earlysaw.html.

(**10**) Donner, Fred McGraw, Muhammad and the Believers: at the Origins of Islam, (Cambridge, Mass, The Belknap Press of Harvard University Press, 2012), p 215.

(١١) وات، مونتجمري. «كتاب الهاجرية»، مجلة المؤرخ العربي، العدد العاشر، (بغداد، ١٩٧٩م)، ص٢٢٤. العجمي، عبدالهادي. «دراسة منهجية لأطروحة المستشرقين التشكيكية حول التاريخ الإسلامي وأهم مصادره»، مجلة وقائع تاريخية، (القاهرة، كلية الآداب مركز البحوث والدراسات التاريخية، جامعة القاهرة، يناير ٢٠٠٦م). ص٧-٢٢.

- Van Ess, Josef. "The making of Islam", Times Literary Supplement 8 (1978). p 998. Serjeant, Robert, B. Journal of the Royal Asiatic Society (1978), "Reviewed Works, Quranic Studies: Sources and Methods of Scriptural Interpretation by J, Wansbrough; Hagarism: The Making of the Islamic World by Patricia Crone, Michael Cook" pp. 76-78, p 78. Donner, Fred, Narratives of Islamic Origins: The Beginnings of Islamic Historical Writing (Darwin Press, 1999), pp. 22-60. ؛ Motzki, Harald, The Biography of Muhammad: The Issue of the Sources (Islamic History and Civilization: Studies and Texts. "The Murder of Ibn Abī l-Huqayq: On the Origin and Reliability of some Maghāzī-Reports", Vol. 32. (Brill, 2000), p 233. Holyand, Robert, Review of B. K. Haight, and B. S. Haight 'The Handbook of Structured Life Review' International Journal of Middle East Studies, issue 44, (2012), pp. 573-576, p 576. Kennedy, The Great Arab Conquests, p 23.

(١٢) محجوب، صلاح. «ظهور الإسلام في التواريخ السريانية»، مجلة المؤرخ المصري، كلية الآداب بجامعة القاهرة، العدد ٢٧، (القاهرة، يناير ٢٠٠٤م)، ص٤٣-٩٠.

(١٣) محجوب. ظهور الإسلام، ص٤٤.

(١٤) المرجع نفسه، ص٥٣.

(١٥) والمشهور بميخائيل السرياني. ولد في بلدة ملطية شرق الأناضول عام ١١٢٦م. نشأ وتلقى تعليمه في عدد من الأديرة ثم تدرج في سلك المناصب الدينية حتى أصبح بطريركًا للكنيسة السريانية الشرقية بأنطاكية عام ١١٦٦م، وظل بها حتى وفاته عام ١١٩٩م. أفرام، أغناطيوس. اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية، (حلب، سوريا، دار ماردين، ١٩٩٦م)، ص٣٩٤. بلال. الإسلام المبكر، ص١١٦.

(١٦) واسمه توفيل بن توما الرهاوي، وهو مُنجّم ومؤرخ ومترجم سرياني. عمل في خدمة الخليفة المهدي العباسي حتى وفاته سنة ٧٨٥م. انظر: ابن العبري، غريغوريوس أبو الفرج بن هارون الملطي والمعروف بـ ابن العبري. تاريخ مختصر الدول؛ تحقيق: أنطوان اليسوعي، (لبنان، دار الرائد اللبناني، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، ص١٦٠؛ وانظر لنفس المؤلف: التاريخ الكنسي، ترجمة: صليبا شمعون، (دهوك، دار المشرق الثقافية، ٢٠١٢م)، ج١، ص١٢٧.

(١٧) السرياني، ميخائيل. تاريخ مار ميخائيل السرياني الكبير بطريرك أنطاكية، ترجمة: مارغريغورس صليبا شمعون، (حلب، دار ماردين، ١٩٩٦م)، ج٢، ص٢٩٧.

- Edessa, Theophilus. Theophilus of Edessa's chronicle and the circulation of historical knowledge in late antiquity and early Islam. Transl & ed, Robert Hoyland, (Liverpool University Press, 2011), p 86.

(١٨) عيتاني، حسام. الفتوحات العربية في روايات المغلوبين، (بيروت، دار الساقي، ٢٠١١م). ص١٩-١٣١.

(١٩) عيتاني. المرجع السابق، ص٦١-٨٤.

(**20**) Kennedy, The Great Arab Conquests, p 28.

- خلف، تيسير. الرواية السريانية للفتوحات الإسلامية، (دمشق، مؤسسة فلسطين للثقافة، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م)، ص٣٢-٧٢.

(٢١) بلال. الإسلام المبكر، ص٧٣-١٩٣.

(٢٢) انظر: العسيري، عوض بن عبدالله بن ناحي. «عصر الرسالة في المصادر النصرانية الشرقية: دراسة لتطور صورة النبي محمد ﷺ في كتابات المؤرخين السريان»، مجلة جامعة الملك عبدالعزيز: الآداب والعلوم الإنسانية، م٢٧، ع٤، (جدة، ٢٠١٩م)، ص٢٤٢.

(٢٣) روبرت هويلند وتجربته في كتابة التاريخ الإسلامي، لقاء مع منتدى مؤرخي الخليج العربي، ١٠-٩-٢٠١٨م.

- https://www.youtube.com/watch?v=2DjyGMHYS4M&t=25s

(**24**) Donner, Muhammad and the believers, p 123. Boaz, Shoshan, The Arabic Historical Tradition and the Early Islamic Conquests, (London, Routledge, 2016, 1st edition), p4.

(**25**) Kaegi, Byzantium, p 2.

- العجمي، عبدالهادي. دراسة منهجية، ص٩-١٠.

(٢٦) العسيري. عصر الرسالة، ص٢٠٧-٢٢٨.

(٢٧) ويلقب بإيشوعياب الحديابي (أو الحزي) تمييزًا له عن الجاثليق إيشوعياب الثاني الجدالي، وهو رجل دين نصراني سرياني شهير. ولد لأب نبيل وثري في قرية «قويلانا» بإقليم «حدياب» (أربيل حاليًا) حوالي عام ٥٨٠م. التحق بمدرسة نصيبين الدينية الشهيرة فتلقى فيها علوم

الدين واللغة والفلسفة، ثم أصبح فيما بعد أحد رجال الكنيسة البارزين، ولاحقًا أصبح أسقفًا لنينوى. عاصر إيشوعياب الثالث الحروب الفارسية - البيزنطية، وكان ضمن الوفد الذي أرسلته بوران بنت كسرى برئاسة الجاثليق إيشوعياب الثاني الجدالي لعقد الصلح مع الإمبراطور البيزنطي هرقل. ثم عايش الحديابي حقبة الفتح العربي الإسلامي للعراق وانتُخب جاثليقًا لكنيسة المشرق عام ٦٤٩م/ ٢٨هـ، وظل في هذا المنصب حتى وفاته سنة ٦٥٩م تقريبًا. انظر: المرجي، توما، كتاب الرؤساء، ترجمة: ألبير أبونا، (بغداد، ١٩٩٠م، ط٢) ص٦٧. ابن سليمان، ماري. أخبار فطاركة كرسي المشرق من كتاب المجدل، (روما، مطبعة رومية الكبرى، ١٨٩٩م)، ص٦٢. ابن متى، عمرو. أخبار فطاركة كرسي المشرق من كتاب المجدل، (روما، ١٨٩٦م)، ص٥٦.

- Hoyland, Seeing Islam, p 174.

(**28**) Rignell, Karl Erik. A Letter from Jacob of Edessa to John the Stylite of Litarab concerning Ecclesiastical Canons (Lund, 1979), pp. 518-519. see also: Hoyland, Seeing Islam, p 187. Haar Romeny, R. B. ter. Jacob of Edessa and the Syriac Culture of His Day. (Leiden: Brill, 2008), p 19. Penkaye, John bar, Summary of World History (Rish melle), book 14 and book 15, Transl. by Roger Pearse, (Ipswich, UK, 2010), (Online), http://www.tertullian.org/fathers/john_bar_penkaye_history_15_trans.htm#Book14.

(**٢٩**) خلف. الرواية السريانية، ص٣٢-٧٢. عيتاني. الفتوحات العربية، ص١٩-١٣١. بلال. الإسلام المبكر، ص٧٣-١٩٣.

(**30**) Wright, William. Catalogue of Syriac Manuscripts in the British Museum, Acquired Since the Year 1838: Part Iii, (London: British Museum., 1872), Vol. 1, p 65.

(**31**) Nöldeke, Theodor, Geschichte der Perser und Araberim 1Jh. d. H. Aus Syrischen Quellen', ZDMG, XXIX (Brill, 1875), 76-82. Hoyland, Seeing Islam, p 117.

(**32**) Chabot, J. B., and E. W. Brooks. Chronica Minora. II, II. (Parisiis: C. Poussielgue, 1904), p 7. Brock, S P. "Syriac Sources for Seventh-Century History." Byzantine and Modern Greek Studies. 2.1 (1976): 17-36. p 2.

(33) Palmer, Andrew, Sebastian P. Brock, and Robert Hoyland, The Seventh Century in the West-Syrian Chronicles. Vol. 15, (Liverpool University Press, 1993), pp. 1-4.

(34) Palmer, et al, The Seventh Century, p 5. Hoyland, Seeing Islam, p 117.

(٣٥) عيتاني. الفتوحات العربية، ص٩٤.

(٣٦) توجد النسخة الوحيدة لهذه الحولية على شكل مخطوط سرياني محفوظة في الأرشيف البريطاني، وقد قام «أندرو بالمر» قبل عقدين من الزمان بترجمة كامل النص إلى اللغة الإنجليزية مع دراسة وافية لمحتوى المخطوط وهوية مؤلفه. انظر :

- Palmer, et al, The Seventh Century,pp. 5-24.

(37) Ibid. p6.

(38) Ibid.

(39) Ibid.

(٤٠) عيتاني. الفتوحات العربية، ص٩٤.

(٤١) محجوب. ظهور الإسلام، ص٤٤.

(42) Hoyland, Seeing Islam, p 120.

(43) Ibid.

(٤٤) عيتاني. الفتوحات العربية، ص٩٤.

- Palmer, et al: The Seventh Century, p 7, Hoyland, Seeing Islam, p 119, Penn, Envisioning Islam, p20.

(45) Palmer, et al: The Seventh Century, p 7.

(٤٦) التقويم السلوقي أو الإغريقي نظام تقويم استخدمته الامبراطورية السلوقية التي قامت في الشرق الأدنى القديم والهضبة الإيرانية بعد انقسام إمبراطورية الإسكندر الأكبر، حيث اعتمدت بداية حكم سلوقس الأول (Seleucus I Nicator) بداية لهذا التقويم.

- Denis C. Feeney, Caesar's Calendar, (University of California Press, Berkeley, 2007), p. 139.

(47) Palmer, et al: The Seventh Century, pp. 14-22.

(٤٨) مؤلف مجهول. التاريخ الصغير، القرن السابع الميلادي، ترجمه وعلق عليه: بطرس حداد، (بغداد، مجمع اللغة السريانية، ١٩٧٧م)، ص٤.

- al-Ka'bī, Naṣīr 'Abd al-Ḥusayn. A Short Chronicle on the End of the Sasanian Empire and early Islam 590-660 AD, (Piscataway, NJ, Gorgias Press, 2016), p xi.

(٤٩) مؤلف مجهول. التاريخ الصغير، ص٥.

- al-Ka'bī, a Short Chronicle, P xviii.

(٥٠) المصدر نفسه.

(**51**) al-Ka'bī, ibid.

(٥٢) انظر: القسم رقم ١، ٣، ص٩ من هذه الدراسة.

(٥٣) رجل دين ولاهوتي ومؤرخ سرياني. له كثير من المؤلفات في اللاهوت والفلسفة وعلوم اللغة السريانية والتاريخ. ولد عام ٦٤٠م في بلدة «عيندابا» بالقرب من حلب قبل أن ينتقل إلى قنسرين ثم حلب، حيث أكمل تعليمه في أديرتها. عمل فيما بعد أسقفًا على مدينة الرها لعدة سنوات قبل عزله بسبب خلافات كنسية، غير أنه عُيِّن أواخر حياته رئيسًا لأساقفة الرها قبل وفاته عام ٧٠٤م.

- انظر: كامل، مراد؛ البكري، محمد حمدي؛ رشدي، زاكية محمد. تاريخ الأدب السرياني من نشأته إلى العصر الحاضر، ج١، (القاهرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٧٤م)، ص٢٦٣-٢٧٦.

- J.M. Sauget. "Jacob of Edessa", Encyclopedia of the Early Church 1, 1992, pp. 428-429.

(**54**) Brooks, Ernest Walter. "The Chronological Canon of James of Edessa." Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft 54.1, 1900, pp. 100-102. p 323, 326.

- وانظر الترجمة العربية في: حبي، يوسف، تواريخ سريانية من القرون ٧-٩م، (بغداد، المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٢م)، ص٤٩.

(٥٥) حبي. تواريخ سريانية، ص١٩١.

(**56**) Wright, Catalogue, p 1062.

(**57**) Brooks, The Chronological Canon, pp. 261-327.

(٥٨) يوحنا ابن الفنكي: رجل دين سرياني. ولد في بلدة فنك الواقعة على نهر الفرات في جزيرة ابن عمر بجنوب شرق تركيا حاليًا. لا يُعرف تاريخ محدد لولادته لكن الواضح أنه عاش في النصف الأخير من القرن السابع الميلادي أو أواخر القرن الأول وبداية القرن الثاني الهجريين. انظر :

- Thomas, David, Roggema, Barbara, Pedro, Juan and Monferrer Sala, Christian-Muslim Relations: A Bibliographical History, Volume 1, (Leiden, Brill, 2009), p 176.

(**58**) Brock, Sebastian P., Studies in Syriac Christianity History, Literature, and Theology, (Aldershot, Variorum, 1992), pp. 51-75, p 61.

(**59**) Penn, Envisioning Islam, p26.

(**60**) Ibid.

(**61**) Brock, Syriac Sources, p24.

(**62**) Brock, Studies in Syriac Christianity History, pp. 51-75.

(**63**) Penkaye, Summary, (Online).

(**64**) Mar-Emmanuel, Emmanuel Joseph, The Book of Resh Melle by Yoḥannan bar Penkaye an Introduction to the Text and a Study of its Literary Genres, (Toronto: University of Toronto, 2015), pp. 1-225.

(٦٥) مؤلف مجهول. التاريخ الصغير، ص٩١.

- Penkaye, Summary, (Online).

(٦٦) بطرس حداد. التاريخ الصغير، ص١٠٤.

- Penkaye, Summary, (Online).

(٦٧) حبي. تواريخ سريانية، ص١٩١.

(٦٨) علي. المفصل، ج١، ص٣١. عيتاني. الفتوحات العربية، ص٢٨.

(٦٩) الأفغاني، سعيد بن محمد. أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، (القاهرة، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، ط٣)، ص٧٤، ٢٦٣، ٣٨٢. علي، المفصل، ج١٤، ص١٦٩.

(**70**) Rignell, Karl Erik. A Letter from Jacob of Edessa to John the Stylite of Litarab concerning Ecclesiastical Canons, (Lund, 1979), pp. 518-519. see also: Hoy-

land, Seeing Islam, p 187. Romeny, Jacob of Edessa, p 19. Penkaye, Summary, (Online).

(71) Hoyland, Seeing Islam, pp. 53-256.

(72) Hoyland, Ibid, pp. 180-181. Penn, When Christians, p 30.

(73) Ibid

(٧٤) حبي. تواريخ سريانية، ص١٩١.

(75) Rignell, A Letter from Jacob of Edessa, pp. 518-519, see also: Hoyland, Seeing Islam, p 187. Romeny, Jacob of Edessa, p 19.

(76) Hoyland, Robert. "Jacob and Early Islamic Edessa." Cambridge Studies in Islamic Civilization; Cambridge, 32, p 11-24, (Leiden - Boston, Brill, 2000, pp. 17, 18. Herman G. Teule, "Jacob of Edessa", Christian-Muslim relations: a bibliographical history, p 227.

(٧٧) مؤلف مجهول. التاريخ الصغير، ص١٠٥.

- al-Ka'bī, a Short Chronicle, p 110.

(78) Hoyland, Seeing Islam, p 188.

(٧٩) ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله. تاريخ دمشق؛ تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م)، ج١٩، ص٤٩٦. علي. المفصل، ج٦، ص٢٠٥.

(٨٠) مؤلف مجهول. التاريخ الصغير، ص١٠٥.

- al-Ka'bī, a Short Chronicle, p 110.

(٨١) انظر: المرجعين السابقين.

(٨٢) قبيلة عربية جنوبية ينسبها بعض علماء النسب إلى جُرْهُمُ بن قحطان بن عابر بن شالخ ابن أرفخشد بن سام بن نوح. كانت ديارهم باليمن، ثم انتقلوا إلى الحجاز، فنزلوا بمكة واستوطنوها قبل أن تخرجهم قبيلة خزاعة. انظر: البلاذري، أحمد بن يحيى. أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، (بيروت، دار الفكر، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ط١)، ج١، ص٨. العوتبي، سلمة بن مسلم بن إبراهيم الصحاري، (د.ت)، ص٤٠. الحازمي، أبو بكر

محمد بن موسى بن عثمان. عجالة المبتدي وفضالة المنتهي في النسب، تحقيق: عبدالله كنون، (القاهرة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م) ص٤٠. كحالة، عمر بن رضا. معجم قبائل العرب القديمة والحديثة. (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م)، ج١، ص١٨٣.

(٨٣) خزاعة: قبيلة عربية مشهورة، كانت لها الولاية على البيت الحرام ومكة المكرمة قبل أن تخرجهم قريش. اختلف علماء النسب في نسب هذه القبيلة بين قائل إنها تنتسب إلى عمرو ابن ربيعة من الأزد، وآخر ينسبها إلى عمرو بن لحي بن قمعة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. انظر: ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد. جمهرة أنساب العرب، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، ص٢٣٥. ابن الكلبي، أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب. نسب معد واليمن الكبير؛ تحقيق: ناجي حسن، (بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م)، ج٢، ص٤٣٩. البلاذري. أنساب الأشراف، ج١، ص٨، ٣٤، ٣٨.

(٨٤) هذه القبيلة أشهر من أن تُعرّف فهي عدنانية مضرية بإجماع علماء النسب إلى فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. وتاريخها أشهر من أن يُعرّف؛ فمنها النبي ﷺ وخلفاؤه الراشدون وكانت لها الولاية على مكة المكرمة والأماكن المقدسة كما هو معروف. ابن حزم. جمهرة أنساب العرب، ص١٢. ابن الكلبي، نسب معد واليمن، ج١، ص٢. البلاذري. أنساب الأشراف، ج١، ص٣٩.

(٨٥) الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبدالله. أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار؛ تحقيق: رشدي الصالح ملحس (بيروت، دار الأندلس، د.ت)، ج١، ص٩٠. الشريف، أحمد إبراهيم. مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول، (القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٦٥م)، ص١٠٥. حسن معمري. مكة وعلاقاتها الخارجية مع شمال وجنوب شبه الجزيرة العربية خلال القرنين ٥ و٦ للميلاد، رسالة ماجستير في التاريخ القديم، قسم التاريخ بجامعة الجزائر، ٢٠٠٥-٢٠٠٦م، ص٢٥.

(**86**) Crone, Patricia, Meccan Trade and the Rise of Islam (Princeton, U.S.A: Princeton University Press, 1987), p.134.

(**87**) Crone and Cook, Hagarism, p 22.

- تجدر الإشارة إلى أن لكرون استنتاجات غريبة؛ إذ تزعم أن الإسلام لم ينشأ في مكة ولكن ربما في شمال جزيرة العرب، ذلك أن المصادر التاريخية السريانية واليونانية واللاتينية والقبطية

لم تتضمن أي إشارة إلى مكة والنشاط التجاري لقريش. وهذه مزاعم مجافية للحقيقة كما سبق تبيينه؛ إضافة إلى أنها كانت محل نقد واسع لا يتسع المجال لاستعراضه. انظر :

- Serjeant, R. B. "Meccan Trade and the Rise of Islam: Misconceptions and Flawed Polemics." Journal of the American Oriental Society 110, no. 3 (1990): pp 472-486.

(٨٨) العجمي. دراسة منهجية، ص١١.

(**89**) al-Ka'bī, a Short Chronicle, p xviii.

(٨٩) انظر على سبيل المثال: برشينايا، إيليا. تاريخ إيليا برشينايا؛ تحقيق: يوسف حبي، (مطبوعات مجمع اللغة السريانية، بغداد، ١٩٧٥م)، ص١٢٨. المنبجي، أغابيوس بن قسطنطين. المنتخب من تاريخ المنبجي؛ تحقيق: عمر تدمري، (طرابلس، لبنان، دار المنصور، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ط١)، ص٣٢. التلمحري، ديونسيوس. تاريخ مار ديونسيوس التلمحري، الجزء الرابع؛ ترجمة: صليبا شمعون، (الموصل، ٢٠١١م)، ص١٣.

(٩١) يرجّح نصير الكعبي أن المؤلف يقصد بمدينة «حطا» مدينة قديمة تقع على ساحل الخليج العربي اسمها «مدينة الخط» وقد ذكرها جملة من الجغرافيين العرب، فقال الهمداني: «الخط في البحرين وإليه تنسب الرماح الخطية». وقال البكري «الخطّ: قرية على ساحل البحرين، وهي لعبد القيس، فيها الرماح الجياد». ورجّح ياقوت الحموي في معجمه أن مدينة الخط هي نفسها مدينة جُواثاء. انظر: الهمداني، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب. صفة جزيرة العرب (ليدن، مطبعة بريل، ١٨٨٤م)، ص١٧٩، البكري، أبو عبيد عبدالله بن عبدالعزيز ابن محمد. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، (بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٣هـ، ط٣)، ج٣، ص٥٠٣. الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله. معجم البلدان، (بيروت، دار صادر، ١٩٩٥م، ط٢)، ج٢، ص١٧٤. مؤلف مجهول. التاريخ الصغير، ص١٠٥-١٠٦.

- al-Ka'bī, a Short Chronicle, p 110.

(٩٢) وردت مفردة «الطوف» كإحدى المفردات التي اشتق منها اسم «الطائف». قال ابن الفقيه: « ... وسُمّيت الطائف بذلك الطوف الذي أحاطه عليها قسيّ وهو ثقيف ...». وقال البكري: «أصاب رجل من الصّدف دمًا في قومه بحضر موت، وكان يقال للصّدفيّ الدّمون، وكان قتل ابن عم له، فقال في ذلك: وحربة ناهل أو جرت عمرًا ... فما لي بعنده أبدًا قرار، ثم خرج هاربًا حتى نزل بوجّ، فحالف مسعود بن معتّب ومعه مال عظيم، فقال لهم: هل لكم أن أبني

لكم طوفًا عليكم، يكون لكم ردءاً من العرب؟ قالوا: نعم. فبنى لهم بماله ذلك الطوف، فسُمّي الطائف، لأنّه حائط يطيف بهم». وقال ياقوت: «... فسُمّيت طائفًا بحائطها المبنيّ حولها المحدق بها ...» انظر: ابن الفقيه، أبو عبدالله أحمد بن محمد بن إسحاق الهمداني. كتاب البلدان؛ تحقيق يوسف الهادي، (بيروت، عالم الكتب، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م)، ص٧٩. البكري. معجم ما استعجم، ج١، ص٦٧. ياقوت الحموي. معجم البلدان، ج٤، ص٩.

(٩٣) مؤلف مجهول. التاريخ الصغير، ص١٠٥-١٠٦.

- al-Ka‘bī, a Short Chronicle, p 112.

(٩٤) حبي. تواريخ سريانية، ص١٩٣.

- Brooks, The Chronological Canon, p 323. Penkaye, Summary, (Online).

(٩٥) يقصد بهم الفاتحين المسلمين ومحمدًا النبي ﷺ.

(٩٦) الأرجح أن «يردن» هو الشخص نفسه الذي أشار إليه الواقدي باسم «وردان» كأحد قادة الجيش البيزنطي الذين قتلوا في المعركة نفسها. انظر: الواقدي، محمد بن عمر. فتوح الشام، (دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م)، ج١، ص٤٤. البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر. فتوح البلدان، (بيروت، دار ومكتبة الهلال، ١٩٨٨م)، ص٦٠.

(97) Palmer, et al: The Seventh Century, pp. 18-19.

(٩٨) مؤلف مجهول. التاريخ الصغير، ص١٠٣.

- al-Ka‘bī, a Short Chronicle, p 104.

(٩٩) انظر: المرجعين نفسيهما.

(١٠٠) انظر تفاصيل ذلك عند: طقوش، محمد سهيل. تاريخ الخُلفاء الرّاشدين: الفُتوحات والإنجازات السياسيّة)، بيروت؛ لُبنان: دار النفائس، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م، ط٢)، ص١٦١.

(١٠١) المرجع السابق.

(١٠٢) الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الرسل والملوك المعروف بتاريخ الطبري، (بيروت، دار التراث، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م)، ج٣، ٢٢٦. ابن عساكر. تاريخ دمشق، ج٣، ص٤١٨.

(١٠٣) الواقدي. فتوح الشام، ص١١٦. الطبري. التاريخ، ج٣، ص٤١٥.

(١٠٤) انظر: المصدرين نفسيهما.

(١٠٥) الطبري. التاريخ، ج٢، ص٢٠.

(١٠٦) الواقدي. فتوح الشام، ج١، ص٥٩.

(١٠٧) ابن خياط، خليفة. تاريخ خليفة بن خياط؛ تحقيق أكرم ضياء العمري، (دمشق، بيروت، دار القلم، مؤسسة الرسالة، ١٣٩٧هـ، ط٢، ص١٩٥). الواقدي. فتوح الشام، ج١، ص١٤٧. البلاذري. فتوح البلدان، ص١٣٢.

(١٠٨) الواقدي. فتوح الشام، ج١، ص١٠٠. ابن خياط. التاريخ، ص١٣٠. البلاذري. فتوح البلدان، ص١٣٢.

(١٠٩) غير واضحة من الأصل.

(**110**) Palmer, et al: The Seventh Century, p 2. Hoyland, Seeing Islam, p 117.

(**111**) Palmer, et al: The Seventh Century, p 19.

(١١٢) انظر: وصية أبي بكر الصديق رضي الله عنه الشهيرة في قوله: «... وإذا نصرتم على عدوكم فلا تقتلوا ولدًا ولا شيخًا ولا امرأة ولا طفلًا ولا تعقروا بهيمة إلَّا لمأكول ولا تغدروا إذا عاهدتم ولا تنقضوا إذا صالحتم وستمرون على قوم في الصوامع رهباناً يزعمون أنهم ترهبوا في الله فدعوهم ولا تهدموا صوامعهم ...». الواقدي. فتوح الشام، ج١، ص٨.

(**113**) Sebeos, James Howard-Johnston, Tim Greenwood, and Robert W. Thomson. The Armenian History Attributed to Sebeos: Historical Commentary, (Liverpool: Liverpool University Press, 1999), p 92.

(**114**) Kaegi, Byzantium, p 98. Hoyland, Seeing Islam, pp. 2018-219.

(١١٥) الواقدي. فتوح الشام، ج١، ص١٠٠. ابن خياط. التاريخ، ص١٤٠. البلاذري. فتوح البلدان، ص١٣٢.

(١١٦) م الطبري. التاريخ، ج٣، ص٥٩٩.

(**117**) Palmer, et al: The Seventh Century, p 2.

(١١٨) اليعقوبي، أحمد بن أبي واضح. تاريخ اليعقوبي، (ليدن، مطبعة بريل، ١٨٨٣م)، ج٢، ص١٥٩. الواقدي. فتوح الشام، ج١، ص٣٦. البلاذري. فتوح البلدان، ص١١٥. الطبري. التاريخ ج٣، ص٤٣٥.

(١١٩) لمزيد من التفاصيل انظر: (العمري، أكرم ضياء. عصر الخلافة الراشدة محاولة لنقد الرواية التاريخية وفق منهج المحدثين، الرياض، مكتبة العبيكان، ١٤٣٠هـ، ط١)، ص٣٧١. طقوش. تاريخ الخلفاء الراشدين، ص٢٤١.

(١٢٠) الواقدي. فتوح الشام، ج١، ص١٥٣.

(١٢١) الواقدي. فتوح الشام، ج١، ص٢١٦. داهموس، جوزيف. سبع معارك فاصلة في العصور الوسطى؛ ترجمة: محمد فتحي الشاعر، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتب، ط٢)، ص٧٢.

(**122**) Palmer, et al. The Seventh Century, p3.

(١٢٣) الواقدي. فتوح الشام، ج١، ص٢١٦.

(١٢٤) الطبري. التاريخ، ج٣، ص٣٩٢. ابن خياط. التاريخ، ص١٣٠. الفسوي، يعقوب بن سفيان. المعرفة والتاريخ؛ تحقيق: أكرم ضياء العمري، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ط٢)، ج٣، ص٣٠٠.

(**125**) Hoyland, Seeing Islam, p 119.

(١٢٦) البلاذري. فتوح البلدان، ص١٧٦. الواقدي. فتوح الشام، ج٢، ص١١٤.

(١٢٧) الطبري. التاريخ، ج٤، ص٥٣. ابن خياط. التاريخ، ص١٣٩. البلاذري. فتوح البلدان، ص١٧٦. الواقدي. فتوح الشام، ج١، ص١٠٩-١١٧.

(**128**) Palmer et al. The Seventh Century, p 19.

(١٢٩) ابن خياط. التاريخ، ص١٣٠. البلاذري. فتوح البلدان، ص١٣٨. الواقدي. فتوح الشام، ج١، ص٢٠٨.

(**130**) Ibid.

(**131**) Penkaye, Summary, (Online).

(١٣٢) كسرى أبرويز - وتعني المظفر - بن هرمز بن كسرى الأول أنوشروان. تولى الحكم بعد أن ساعده الإمبراطور البيزنطي موريس ضد منافسه بهرام جوبيز، حيث دخل المدائن منتصرًا عام ٥٩١م. دخل كسرى في حروب طويلة مع الإمبراطورية البيزنطية فحقق انتصارات كبيرة احتل على إثرها أرمينية، والشام، ومصر وتوغل في آسيا الصغرى، لكنه مُني بهزيمة ساحقة على يد الإمبراطور البيزنطي هرقل، ثم قُتل لاحقًا على يد ابنه شيرويه عام ٦٢٨م. الطبري. التاريخ، ج٢، ص١٧٦.

(١٣٣) إيراد المؤلف اسم النبي ﷺ بهذه الصيغة كزعيم دنيوي ربما كان ينم عن جهل المؤلف لحقيقته ﷺ كنبي مرسل، وذلك أمر ممكن في ذلك العصر، فالبعد الجغرافي، وقلة مصادر المؤلف عن

جزيرة العرب ربما أسهما في خلق هذه الصورة القاصرة لديه، والدليل على ذلك عدم إدراكه أن النبي ﷺ كان قد توفي قبل فتح العراق. انظر: العسيري. عصر الرسالة، ص٢٣٢.

(١٣٤) مؤلف مجهول. التاريخ الصغير، ص٩١.

- al-Ka'bī, a Short Chronicle, p78.

(١٣٥) خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي القرشي. صحابي جليل وقائد عسكري مسلم. أسلم بعد صلح الحديبية سنة ٧هـ، ولقّبه النبي ﷺ بسيف الله المسلول. اشتهر بحسن تخطيطه وبراعته في قيادة جيوش المسلمين في حروب الردة وفتوحات العراق والشام في عهد أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما. توفي على الأرجح بحمص سنة ٢١هـ/ ٦٤٢م. ابن سعد، أبو عبدالله محمد بن سعد بن منيع. الطبقات الكبرى؛ تحقيق: إحسان عباس، (بيروت، دار صادر، ١٩٦٨م)، ج٧، ص٣٩٤. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج١٦، ص٢١٦. ابن الأثير، علي بن محمد بن الأثير الشيباني. أسد الغابة في معرفة الصحابة؛ تحقيق: علي محمد معوض؛ عادل أحمد عبدالموجود، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م، ط١)، ج٢، ص١٤٠. الذهبي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز. سير أعلام النبلاء؛ تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م)، ج١، ص٣٦٦.

(١٣٦) المثنى بن حارثة الشيباني البكري. أسلم سنة ٩هـ، لكنه لم يلتق بالنبي ﷺ، كلفه الخليفة أبو بكر بأدوار مهمة في أثناء الفتح الإسلامي للعراق. توفي متأثرًا بجراحه في معركة الجسر سنة ١٤هـ/ ٦٣٥. ابن الأثير. أسد الغابة، ج٥، ص٥٥. ابن حجر، أحمد بن علي بن محمد. الإصابة في تمييز الصحابة؛ تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود وعلي محمد معوض، (بيروت، دار الكتب العلمية)، ١٤١٥هـ، ج٥، ص٥٦٨.

(١٣٧) هو عياض بن غنم بن زهير الفهري القرشي. صحابي جليل أسلم سنة ٧هـ أي قبل صلح الحديبية وشهد فتحي العراق والشام، وقاد فتح بلاد الجزيرة الفراتية، ثم تولى ما كان يتولاه أبو عبيدة بن الجراح بعد وفاته في بلاد الشام. توفي عام ٢٠هـ/ ٦٤٢م عن عمر يناهز الـ ٦٠ عامًا تقريبًا. ابن سعد. الطبقات الكبرى، ج٧، ص٣٩٨. ابن عساكر. تاريخ دمشق، ج٤٧، ص٢٦٤. الذهبي. سير أعلام النبلاء، ج٢، ص٣٥٤.

(١٣٨) الطبري. التاريخ، ج٣، ص٣٤٦. ابن خياط. التاريخ، ص١١٨. البلاذري. فتوح البلدان، ص٢٣٨. طقوش. الخلفاء الراشدون، ص١٣١.

(١٣٩) القعقاع بن عمرو التميمي. صحابي وفارس وقائد مسلم مشهود له بالشجاعة في فتوحات العراق والشام. ابن الأثير. أسد الغابة، ج٤، ص٣٩٠. ابن حجر. الإصابة، ج٥، ص٣٤٣.

(١٤٠) وقيل: عبد بن عوف الحميري، ولم أجد له ترجمة وافية فيما توافر من كتب الطبقات والتراجم؛ عدا ما ذكره ابن حجر من « ... أن أبا بكر الصّديق بعثه إلى عياض بن غنم لما استمده من العراق ...». ابن حجر. الإصابة، ج٥، ص٨٦.

(١٤١) أرض كاظمة تشمل المنطقة الساحلية الواقعة شمال الكويت اليوم ولها ذكر في كتب الجغرافيا والبلدان والأدب. انظر: الهمداني. صفة جزيرة العرب، ص١٣٥، البكري. معجم ما استعجم، ج٤، ص١١٠٩، الإدريسي، محمد بن محمد بن عبدالله الحسني. نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، (بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٩هـ)، ج١، ص١٦٢.

(١٤٢) الطبري. التاريخ، ج٣، ص٣٤٣-٣٥٨. البلاذري. فتوح البلدان، ص٢٤٠-٢٤٥.

(١٤٣) الطبري. التاريخ، ج٣، ص٣٨٣. طقوش. تاريخ الخلفاء الراشدين، ص١٤٥.

(١٤٤) يزدجرد بن شهريار بن كسرى أبرويز بن أنوشروان هو آخر ملوك الدولة الساسانية، وكان ممن نجا من بطش عمه شيرويه فهرب إلى مدينة اصطخر. تولى الحكم بعد القضاء على «فرخزاد خسروا» مغتصب العرش الساساني عام ٦٣٢م في ظل أوضاع عصيبة عاشتها دولته حيث كانت جيوش العرب المسلمين على أبواب عاصمته نفسها. وبعد هزيمة جيوشه وسقوط المدائن هرب شرقًا وظل يتنقل بين عدة أقاليم حتى مقتله في مرو عام ٣١هـ/ ٦٥١م. الطبري. التاريخ، ج٢، ص٢٣٤. مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب. تجارب الأمم وتعاقب الهمم، (طهران، سروش، ٢٠٠٠م، ط٢)، ج١، ص٢٥٣.

(١٤٥) رستم فرخزاد - أو رستم بن فرّخ. قائد فارسي وصف بالحنكة والشجاعة، وينتمي إلى أسرة نبيلة ذات أصول أرمنية. برز في عهد كسرى الثاني كأحد المتمردين على حكمه، ثم عمل في خدمة البلاط الساساني في عهدي بوران ويزدجرد الثالث حتى مقتله في معركة القادسية سنة ١٥هـ/ ٦٣٦م. انظر: الطبري، التاريخ، ج٢، ص٢٣٢. البلاذري. فتوح البلدان، ص٢٥٢. مسكويه. تجارب الأمم، ج١، ص٢٥١.

(١٤٦) بحسب الرواية السريانية فإن «ماحوزا» كانت المصطلح السرياني للمدائن عاصمة الدولة الفارسية. أبونا، ألبير، تاريخ الكنيسة، الجزء الأول، من انتشار المسيحية حتى مجيء الإسلام، (بيروت، دار المشرق، ٢٠٠٧م، ط٥)، ج١، ص١٤٦.

(١٤٧) يقصد بها بلاد الأحواز. مؤلف مجهول. التاريخ الصغير، ص٩١.

(١٤٨) مؤلف مجهول. التاريخ الصغير، ص٩١.

- al-Ka'bī, a Short Chronicle, p80.

(١٤٩) الطبري. التاريخ، ج٣، ص٤٤٤. ابن خياط. التاريخ، ص١٢٤. البلاذري. فتوح البلدان، ص٢٤٨.

(١٥٠) هناك خلاف كبير بين المؤرخين المسلمين في تقدير العدد الإجمالي لجيش المسلمين والجيش الفارسي؛ إذ يروي خليفة بن خياط أن الجيش الإسلامي راوح عدده بين ٨-٩ آلاف مقاتل مقابل قرابة الـ ٦٠ ألف مقاتل فارسي، بينما قدّر اليعقوبي جيش المسلمين بثمانية آلاف خرجوا مع سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قبل أن يأتيهم مدد من بلاد الشام بـ ٦ آلاف مقاتل. وللبلاذري رأي قدر فيه جيش الفرس بزهاء ١٢٠ ألفًا ومعهم ثلاثون فيلًا، بينما كان جيش المسلمين يراوح ما بين ٩-١٠ آلاف مقاتل. أما أبو حنيفة الدينوري فيزيد عدد جيش المسلمين الذي خرج من المدينة بقيادة سعد بن أبي وقاص إلى ٢٠ ألفًا؛ قبل أن ينضم إليه الجيش الموجود على جبهات القتال في العراق، بينما يرفع الطبري العدد الإجمالي لجيش المسلمين إلى أكثر من ٣٠ ألف مقاتل، وهي الرواية الأقرب في رأي الباحث، فقد أجمعت المصادر على أن هزيمة المسلمين في معركة الجسر دفعت الخليفة عمر بن الخطاب لحث قبائل العرب؛ وخاصة تلك التي شاركت في حوادث الردة على المشاركة في الفتوحات، فتحمس كثير من أبناء تلك القبائل وتوافدوا على المدينة بأعداد غفيرة، وهذا يعني توافر قوة بشرية هائلة للقوة العسكرية المتجهة إلى العراق فضلًا عن الجيش الذي كان لا يزال مرابطًا بقيادة المثنى بن حارثة الشيباني.

- انظر: اليعقوبي. التاريخ، ج٢، ص١٦٣. الدينوري. أبو حنيفة أحمد بن داود. الأخبار الطوال، تحقيق: عبدالمنعم عامر؛ مراجعة: الدكتور جمال الدين الشيال (القاهرة، دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٦٠م)، ص١١٩. ابن خياط. التاريخ، ص١٣١. الطبري. التاريخ، ج٣، ص٤٨٧. البلاذري. فتوح البلدان، ص٢٥٢.

(١٥١) المصادر نفسها.

(١٥٢) رجل دين سرياني شهير. ولد في بلدة صغيرة تدعى «جدالا» بالقرب من مدينة سنجار بمحافظة نينوى شمال العراق في النصف الثاني من القرن السادس الميلادي، وفيها نشأ

وترعرع قبل أن ينتقل إلى نصيبين لإكمال دراسته الدينية. تدرج في المناصب الدينية حتى أصبح بطريركًا لكنيسة المشرق عام ٦٢٨م، وكان ضمن وفد أرسلته ملكة فارس الساسانية بوران بنت كسرى الثاني لعقد صلح مع الإمبراطور البيزنطي هرقل عام ٦٣٠م. عاصر الفتح العربي الإسلامي للعراق وكان حينها في المدائن فانتقل إلى بلدة يقال لها «بيت كرماي» بكردستان حاليًا خوفًا على حياته وظل مقيمًا بها حتى وفاته سنة ٦٤٦م/ ٢٥هـ، إلا أن مراسلاته كما سيتضح في البحث تدل على علاقته الحسنة بالمسلمين. انظر: المرجي. كتاب الرؤساء، ص٦٧، ألبير أبونا. تاريخ الكنيسة، ص١٤٠. ابن العبري. التاريخ الكنسي، ج٢، ص٢٣.

(١٥٣) مؤلف مجهول. التاريخ الصغير، ص٩٢.

(١٥٤) كان فتح المدائن باتفاق هذه المصادر تقريبًا في صفر ١٦هـ/ يناير ٦٣٧م، بعد أن دخلها جيش المسلمين بقيادة سعد بن أبي وقاص دون مقاومة تُذكر فوجدها هادئة بعد هروب يزدجرد الثالث ومن معه من قادة الجيش ورجال دولته. الطبري. التاريخ، ج٤، ص٨، ابن خياط. التاريخ، ص٣٣، البلاذري. فتوح البلدان، ص٢٥٨، الواقدي. فتوح الشام، ج٢، ص١٨٨.

(١٥٥) الطبري. التاريخ، ج٣، ص٥٧٩. ابن خياط. التاريخ، ص١٣٨. البلاذري. فتوح البلدان، ص٢٧٠. طقوش، تاريخ الخلفاء الراشدين، ص٢١٥.

(١٥٦) المصادر نفسها.

(١٥٧) الطبري. التاريخ، ج٤، ص٤٤.

(١٥٨) الطبري. التاريخ، ج٤، ص٢١.

(١٥٩) الطبري. التاريخ، ج٣، ص٥٧٩.

(١٦٠) قال ياقوت الحموي: «بَهُرَسِيرُ بالفتح ثم الضم، وفتح الراء، وكسر السين المهملة، وياء ساكنة، وراء: من نواحي سواد بغداد قرب المدائن، ويقال بهرسير الرّومقان، وقال حمزة (الأصفهاني): بهرسير إحدى المدائن السبع التي سميت بها المدائن، وهي معرّبة من ده أردشير، وقال في موضع آخر: معرّبة من به أردشير، كأن معناه خير مدينة أردشير، وهي في غرب دجلة، وقد خربت مدائن كسرى ولم يبق ما فيه عمارة غيرها، وهي تجاه الإيوان لأن الإيوان في شرق دجلة وهي في غربه، رأيتها غير مرة، وبالقرب منها من جهة الجنوب زريران ومن جهة الغرب صرصر، وقال أبو مقرّن أيام الفتوح». الحموي. معجم البلدان، ج١، ص٥١٥.

(١٦١) الطبري. التاريخ، ج٤، ص٦.

(١٦٢) الطبري. التاريخ، ج٤، ص١٦-٢٠.

(١٦٣) الطبري. التاريخ، ج٤، ص٢٠-٢٢.

(١٦٤) المصدر نفسه.

(١٦٥) المصدر نفسه.

(١٦٦) المصدر نفسه.

(١٦٧) أي المحصنة.

(١٦٨) مدينة السوس.

(١٦٩) أي مدينة تستر كما سماها العرب.

(١٧٠) وهو من تلقبه المصادر الإسلامية بالهرمزان. الواقدي. فتوح الشام، ج٢، ص١٨١. ابن سعد. الطبقات الكبرى، ج٥، ص٨٩. ابن خياط. التاريخ، ص١٤٧.

(١٧١) يقصد أبا موسى الأشعري.

(١٧٢) مؤلف مجهول. التاريخ الصغير، ص١٠١.

- al-Ka‘bī, a Short Chronicle, p 94.

(١٧٣) الطبري. التاريخ، ج٣، ص٥٩٠-٥٩٥. ابن خياط. التاريخ، ص١٢٩. البلاذري. فتوح البلدان، ٣٣٨.

(١٧٤) البلاذري. فتوح البلدان، ص٣٣٧. طقوش. تاريخ الخلفاء الراشدين، ص٢١٤.

(١٧٥) مؤلف مجهول. التاريخ الصغير، ص١٠١.

(١٧٦) طقوش. تاريخ الخلفاء الراشدين، ص٢١٧.

(١٧٧) والملاحظ هنا أن ابن سعد وابن خياط يتفقان تمامًا مع المؤرخ السرياني المجهول، فقد ذكرا أن حصار تستر استغرق سنتين. انظر: ابن سعد. الطبقات الكبرى، ج٥، ص٨٩. ابن خياط. التاريخ، ص١٤٦. الطبري. التاريخ، ج٤، ص٧٧.

(١٧٨) يذكر البلاذري: «أن رجلًا منَ الأعاجم استأمن إِلَى المسلمين على أن يدلهم عَلَى عورة المشركين فأسلم واشترط أن يفرض لولده ويفرض له، فعاقده أَبُو موسى عَلَى ذلك». وفي رواية صاحب التاريخ الصغير أن: «رجلًا قطري الأصل يسكن في إحدى ضواحي شوشتري، جاء على رجل آخر يسكن في بيت يقع بالقرب من سور المدينة، فاتفقا سرًا على خطة وخرجا ثم توجها إلى المعسكر العربي، فقال القطري لهم: إننا على أتم الاستعداد لإدخالكم المدينة إذا ما وعدتمونا بثلث الأسلاب. وبعد أن اتفق الطرفان على ذلك حفر الرجلان ثغرات تحت

السور من الداخل وأدخلوا العرب وهكذا احتلوا شوشتري... وقبضوا على هرمزان حيًا». انظر: الطبري. التاريخ، ج٤، ص٨٥، مجهول. التاريخ الصغير، ص١٠٣، البلاذري. فتوح البلدان، ص٣٦٩.

- al-Ka'bī, a Short Chronicle, pp. 102-104.

(١٧٩) المصادر نفسها.

(١٨٠) هذا النص بالذات أثبته نصير الكعبي في الترجمة الإنجليزية للتاريخ الصغير بينما لم يترجمه حداد، وربما كان سبب ذلك اختلاف النسخ التي حُقِّق على ضوئها الكتاب. انظر :

- al-Ka'bī, a Short Chronicle, p 104.

(١٨١) البلاذري. فتوح البلدان، ص٣٧٠.

(١٨٢) الطبري. التاريخ، ج٤، ص٨٦.

(**183**) Palmer et al. The Seventh Century, p 16.

(١٨٤) حبي. تواريخ سريانية، ص١٩١.

- Brooks, The Chronological Canon, p 321.

(١٨٥) حبي. التاريخ الصغير، ص٨٠. حبي. تواريخ سريانية، ص١٥٤، ١٧٩، ١٨٠.

(**186**) Palmer et al, The Seventh Century, p 22.

(١٨٧) ساكو، لويس روفائيل الأول. البطريرك إيشوعياب الجدالي، حياته ورسائله اللاهوتية، ٦٢٨-٦٤٦م، (بغداد، ٢٠١٤م)، ص١٢. صكبان، جاسم صكبان علي، «دراسة في رسائل إيشوعياب الثالث إلى أتباعه»، مجلة التراث العلمي، ع١، (بغداد، ٢٠١٤م)، ص١٢.

- Hoyland, Seeing Islam, p 180. Penn, When Christians, p 30.

(**188**) Hoyland, Seeing Islam, p 182.

(**189**) Penkaye, Summary, (Online).